في المعركة :

الدودة والثعبان

مسرحية بقلم :

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

(أشخاص المسرحية)

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

١ ـ الجوسقى	: الشيخ سليمان الجوسقى شيخ العميان .	
٢ ـ طوبار	: حسن طوبار .	من زعماء الأقاليم
٣ ـ أباظة	: عبد الرحمن أباظة .	من زعماء الأقاليم
٤ ـ العديسى	: على العديسى .	من زعماء الأقاليم
٥ ـ ابن شعير	:	من زعماء الأقاليم
٦ ـ الشواربى	: سليمان الشواربى .	من زعماء الأقاليم
٧ ـ كريت	: حسن كريت .	من زعماء الأقاليم
٨ ـ كريم	: محمد كريم محافظ الإسكندرية .	
٩ ـ روستى	: قنصل النمسا فى مصر .	
١٠ ـ القاضى	: القاضى التركى إبراهيم أدهم .	
١١ ـ ناصحة	: زوجة الجوسقى (أم داود) .	
١٢ ـ داود	: ابن الجوسقى .	
١٣ ـ المهدى	: الشيخ محمد المهدى .	من شيوخ الأزهر
١٤ ـ الشرقاوى	: الشيخ عبد الله الشرقاوى .	من شيوخ الأزهر
١٥ ـ السادات	: الشيخ محمد السادات .	
١٦ ـ عمر مكرم	: نقيب الأشراف .	
١٧ ـ إبراهيم	: إبراهيم بك .	من أمراء المماليك
١٨ ـ مراد	: مراد بك .	من أمراء المماليك
١٩ ـ أيوب	: أيوب بك الدفتردار .	

٢٠ ـ نفيسة : زوجة مراد بك .
٢١ ـ فرنسواز :
٢٢ ـ جاكلين : } من زوجات ضباط الحملة .
٢٣ ـ نابليون : بونابرت قائد الحملة .
٢٤ ـ بوسيلج : مدير الشئون المالية .
٢٥ ـ بوهارتيه : ياور نابليون وابن زوجته جوزيفين .
٢٦ ـ ديزيه : من كبار القواد .
٢٧ ـ بدر : السيد بدر الدين المقدسى .
٢٨ ـ المصيلحى : الشيخ يوسف المصيلحى .
٢٩ ـ برطلمين : برتلمى الروسى (فرط الرمان) وكيل محافظ القاهرة .
٣٠ ـ ديبوى : الجنرال ديبوى محافظ القاهرة .
٣١ ـ بون : الجنرال بون محافظ القاهرة بعد مقتل ديبوى .
٣٢ ـ يعقوب : الجنرال يعقوب .

جمعة عبد المسيح ـ محمود عوضين ـ بطرس عوض : من الثوار .
حافظ ـ عبد القوى ـ على ـ عبد القادر ـ حمزة
غانم ـ عمارة . } من أتباع الجوسقى العميان
حاجب فرنسى ـ جنود من المماليك .

(الفصل الأول)



المنظر : فى بيت الشيخ سليمان الجوسقى ، قاعة كبيرة تتوسطها فسقية يظهر فى المسرح جانب منها . للقاعة ثلاثة أبواب :

الأول باب الخروج ويقع على الجانب الأيسر (لا يرى فى المسرح) .

الثانى فى أقصى اليمين ويؤدى إلى باب الخروج الخلفى .

الثالث فى أدنى اليمين يؤدى إلى داخل البيت .

وعلى دائر القاعة أرائك واطئة مبطنة بالمخمل الفاخر والأرض مفروشة بالسجاد الثمين .

الوقت : **(فى أول الصباح)**

حين يرفع الستار ترى الشيخ سليمان الجوسقى يدخل من الباب الثالث وخلفه زعماء الأقاليم « حسن طوبار وابن شعير وعلى العديسى وعبد الرحمن أباظة وسليمان الشواربى » وهم يمسحون أفواههم كأنهم قاموا من طعام .

الجوسقى : **ما** أراكم أكلتم كما ينبغى . ألم يعجبكم الفطور ؟

طوبار : بلى يا شيخ سليمان لقد أكلنا فأكثرنا .

الجوسقى : لعل الأنباء السيئة صدت نفوسكم عن الطعام .

أباظة : بل فتحت نفوسنا له .

طوبار : أجل كأنما نخشى ألا نذوقه بعد اليوم .

(يظهر أحد العميان من ناحية اليسار)

الجوسقى : أهلا حافظ .. أنا هنا يا حافظ .

حافظ : الفرنسيس تحركوا عشية أمس من وردان يقصدون أم دينار .

الجوسقى : أم دينار . لا حول ولا قوة إلا باللّـه . مرحلة واحدة ويبلغون القاهرة .

من شبراخيت إلى أم دينار ، لم يعترض سبيلهم أحد من هؤلاء المماليك . خذلان وأى خذلان . هل أفطرت ؟

حافظ : لا يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : ادخل فافطر مع إخوانك .

(يخرج حافظ من الباب الثالث)

الجوسقى : يا عبد القوى .

صوت : نعم **(يظهر عبد القوى وهو أحد العميان)** .

الجوسقى : انطلق أنت وفرقتك فأشيعوا هذا الخبر فى الناس .

عبد القوى : حالا يا مولانا الشيخ . **(يخرج)** .

العديسى : ألا تخشى على الناس أن يذعروا يا شيخ سليمان ؟.

الجوسقى : فليذعروا خيرا لهم من الغفلة ، دعهم يعلموا أن العدو على الأبواب . وما زال أمراؤهم المماليك مشغولين بتهريب كنوزهم وإخفائها منذ فروا من معركة شبراخيت .

طوبار : اليوم آمنا جميعا بصواب رأيك يا شيخ سليمان . ليس لنا أن نتكل على المماليك فى الدفاع عن أرضنا وديننا وشرفنا .

(كان الشواربى طوال هذا المشهد يهم أن يتكلم فيسبقه غيره فيسكت) .

ابن شعير : يجب أن يكون لنا جيش من نفس شعبنا ... من هؤلاء الفلاحين .

أباظة : لقد كنا فى شك من ذلك حتى جاءت هذه الغزوة الفرنسية .

العديسى : وإلى أن يوجد ذلك الجيش من الشعب . ما واجبنا اليوم ؟.

الجوسقى : أن نتحصن فى بيوتنا ونتأهب .

العديسى : لقتال الغزاة ؟

الجوسقى : أجل .. بعد أن يقضى على سلطان المماليك .

العديسى : ولم لا نقاتلهم اليوم مع المماليك ؟

الجوسقى : إن نحن فعلنا ذلك بقينا على الحال الذى نحن عليه منذ قرون . أمة ضعيفة تشترى جيشها من أسواق الرقيق .

العديسى : وهل امتناعنا على القتال مع المماليك يخلصنا اليوم من

هذه المعرة ؟.

الجوسقى : لا . ولكن هذه بداية الطريق .

طوبار : ونحن المقيمين فى الأقاليم ما واجبنا يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : مثل أهل العاصمة . التسلح والتأهب .

طوبار : إن كثيرا من أهل إقليمنا يريدون المجىء لقتال الفرنسيس .

أباظة : ومن أهل إقليمنا أيضا .

ابن شعير : ومن أهل إقليمنا كذلك .

الجوسقى : ارجعوا إليهم وقولوا لهم يتسلحوا فى ديارهم ويتأهبوا.

العديسى : أليس هذا ما ينادى به زعيمهم بونابرته إذ أوصانا بالهدوء والسكينة لأنه — كما يزعم — ما جاء إلا لقتال المماليك وإخراجهم من البلاد !

الجوسقى : يا على يا ابن محلة دمنة ألا تذكر أن هذه خطتنا نحو المماليك من قبل أن نسمع باسم هذا البونابرتة ؟

العديسى : ولكن مجىء هؤلاء الغزاة جعلنا فى وضع جديد .

الجوسقى : هذا الوضع الجديد لا يغير من موقفنا شيئا بل لعله ينبهنا إلى وجوب التعجيل بالعمل على تنفيذ الخطة .

العديسى : لكن البلاد بلادنا قبل أن تكون بلاد المماليك .

الجوسقى : بل صارت فى الحقيقة بلادهم هم منذ اتكلنا عليهم فى الدفاع وتخلينا لهم عن شرف الجندية .

العديسى : فلنشاركهم اليوم فى هذا الشرف إذ أرادوا منا ذلك .

الجوسقى : هيهات .. لو كانوا يريدون ذلك حقا لوزعوا علينا السلاح ودربونا على استعماله .

العديسى : ربما لا يجدون عندهم من السلاح ما يكفى .

الجوسقى : فى مخازن مراد وحدها ما يكفى ويزيد لو كان يريد .

العديسى : فما بال السيد عمر مكرم يدعو الناس إلى القتال ؟

الجوسقى : السيد عمر لا يدرك ما ندرك .

العديسى : حاولت أن تقنعه برأيك !

الجوسقى : كثيرا فلم يقتنع .

العديسى : إذن فنحن وحدنا على هذا الرأى لا يشاركنا فيه أحد .

الجوسقى : اسمع يا عديسى : إن كنت غير مقتنع برأينا فاتركنا وانضم إلى من تشاء .. إلى السيد عمر مكرم أو إلى غيره .

العديسى : أغضبت يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : معلوم .. هذه أمور ناقشناها طويلا من قبل وانتهينا فيها إلى رأى أتعود اليوم لتناقشها من جديد ؟

طوبار : يا عديسى لا تضيع وقتنا فى جدالك الفارغ . يا شيخ سليمان نحن على رأيك فوجهنا حيث تريد .

الجوسقى : ليرجع كل واحد منكم إلى بلاده وليدع الناس إلى التسلح والتحصن والتأهب .

طوبار : وتكون على صلة بنا ؟

الجوسقى : لن ينقطع رجالى عنكم .. سيزودونكم بالأخبار وينقلون إليكم ما يجب عمله .

الجميع : اتفقنا .

الجوسقى : وأنت يا عديسى معهم ؟

العديسى : يا شيخ سليمان إنما أردت أن يطمئن قلبى لا غير .

الجوسقى : واطمأن الآن ؟

العديسى : نعم ..

الجوسقى : الحمد للّٰه .

(يهمون بالخروج)

(يدخل أحد العميان)

على : مولانا الشيخ ..

الجوسقى : أهلا على .. عدت يا على من الإسكندرية ؟

على : ومعى رسالة يا مولانا الشيخ من السيد محمد كريم .

الجوسقى : جئت فى الوقت المناسب .. هاتها .. **(يتناول الرسالة من على)** .

الجميع : ما زلت تكاتبه بعد ما باع نفسه للفرنسيس ؟

الجوسقى : لا تعجلوا عليه يا قوم فقد كان من قبل يصانع المماليك أيضا لمصلحتنا . اسمعوا ما يقول فى كتابه : إلى أخى فى اللّٰه الشيخ أبى داود . السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبعد يعز علي ألا أتمكن هذه المرة من حضور مجلس الإخوة عندكم كالعادة والسبب معروف لديكم وقد يكون محل مؤاخذة

ولكن قل لهم أني باق على العهد وسأتمكن وأنا فى منصبى هذا من إقلاق راحة الغزاة بكل سبيل . والخطة التى رسمتموها لأهل القاهرة حكيمه ولكنا فى الإسكندرية لا نتقيد بها لأن المماليك لم يعد لهم فيها أثر . والسلام المخلص

(محمد كريم)

(يمزق الرسالة)

طوبار : تخشى أن تقع فى يد أحد ؟

الجوسقى : فى أيدى الفرنسيس فيعدموه .

(يدخل أحد العميان)

عبد القادر : مولانا الشيخ .

الجوسقى : ما عندك يا عبد القادر .

عبد القادر : المسيو روستى والقاضى إبراهيم أدهم يستأذنان .

الجوسقى : ائذن لهما (**يلحظ ارتباك الجماعة**) لا تخافوا . إنهما صديقان أمينان انتظروا حتى أعرفكم بهما .

(يدخل روستى والقاضى)

الجوسقى : أهلا وسهلا . (**لزعماء الأقاليم**) القاضى إبراهيم أدهم أفندى . المسيو روستى قنصل النمسا .

الزعماء : تشرفنا .

الجوسقى : (**للاثنين القادمين**) أصدقائى زعماء الأقاليم . حسن طوبار من المنزلة . ابن شعير من كفر عشما . على العديسى من محلة دمنا . عبد الرحمن أباظة من الشرقية .

سليمان الشواربى من القليوبية .

الأثنان : تشرفنا .

الزعماء : اسمحوا لنا .

الجوسقى : مع السلامة . (**يخرجون**) تفضلا .. (**يجلس الثلاثة**) .

روستى : كنت إذن فى برلمان يا شيخ سليمان .؟

الجوسقى : برلمان ؟

روستى : مجلس شورى أنت رئيسه وهؤلاء أعضاؤه من كل إقليم .

الجوسقى : تتندر يا مسيو روستى ؟

روستى : أبدا .. أنا أقول الحق .

الجوسقى : والمماليك موجودون ؟ والوالى التركى موجود ؟

القاضى : الوالى التركى لا يمنع ذلك . عندنا فى الآستانة مجلس المبعوثان .

الجوسقى : يا مولانا القاضى إنكم تجيزون فى الاستانة ما لا تجيزونه فى القاهرة

القاضى : أؤكد لك يا شيخ سليمان . إذا استطعتم أن تقيموه فلن نمنعكم أبدا .

روستى : إذا استطعتم أن تقيموه !

الجوسقى : إذا استطعنا أن نقيمه فلن تقدروا أنتم على منعنا .

القاضى : بلى .. نقدر لو أردنا .

الجوسقى : دعنا أولا ننشىء جيشنا يا مولانا القاضى .

روستى : أجل هذا هو الأهم .

القاضى : هيه . لكى تطردونا من بلادكم .

الجوسقى : كلا .. سنبقى منصب القاضى كما هو إكراما لك .

القاضى : أشكركم .. ومنصب الوالى ؟

الجوسقى : سنبقيه أيضا ما دام يعمل لتوثيق الصلات بيننا وبين الآستانة .

روستى : سيكون حينئذ مثل منصبى تماما .

القاضى : أنت يا مسيو روستم قنصل .

روستى : نعم وأى بأس فى ذلك ؟

القاضى : الوالى أعظم من القنصل .

الجوسقى : قنصل مثل المسيو روستى . أنفع لبلده من وال مثل بكير باشا .

القاضى : هذا حق . هذا حق (يتلفت حوله كأنما يخشى أن يسمعه بكير باشا) .

روستى : مالك تتلفت يا مولانا القاضى ؟

الجوسقى : لا تخف . بكير باشا لا يجىء عندى !

(يضحك الثلاثة)

القاضى : نحن نضحك هنا والدنيا على كف عفريت .

روستى : أجل كيف أنت يا شيخ سليمان اليوم ؟

الجوسقى : قل لى كيف أنت يا مسيو روستى ؟

روستى : إنى أشعر كأنى فى تياترو وكأنى أشاهد رواية هزلية.

القاضى : رواية هزلية ؟

روستى : مثل القرة قوز عندكم .

القاضى : لكن القرة فوز مفهوم وهذا الذى يجرى فى البلد غير مفهوم .

الجوسقى : كيف يا مولانا القاضى ؟ ماذا تعنى ؟

القاضى : الفرنسيس قريب من العاصمة وأمراء الجيش لم يخرجوا للقائهم بعد . والجيش سبقهم إلى إنبابة .

الجوسقى : يا مولانا القاضى هذا أمر مفهوم .

القاضى : كيف يا شيخ جوسقى ؟.

الجوسقى : أمراء الجيش يخافون على أموالهم وكنوزهم أن تقع فى أيدى الغزاة .

القاضى : فليخرجوا لقتال الغزاة .

الجوسقى : قبل أن يفرغوا من تهريب أموالهم وإخفائها ؟

القاضى : نعم وإلا سقطت هذه الأموال فى أيدى الغزاة . يجب أن يدرك الجيش هذه الحقيقة .

الجوسقى : هذا لو كان هذا الجيش من الشعب .

القاضى : من الشعب . من الشعب . أتظن فى الإمكان أن ينشأ جيش من هذا الشعب ؟

الجوسقى : ماذا يمنع يا مولانا القاضى ؟

القاضى : شعب غير محارب .

الجوسقى : من طينة أخرى غير طينة البشر ؟

القاضى : لم يتعود القتال .

روستى : فى إمكانه أن يتعود .

القاضى : لا يريد أن يحارب بنفسه .

الجوسقى : هذا ما تقولونه عنا أنتم والمماليك .

القاضى : كلا لاتخلطنا بالمماليك ، نحن شىء والمماليك شىء .

الجوسقى : لكن سوء الرأى فينا يجمعكم .

القاضى : كلا لا يجمعنا بهم شىء .

الجوسقى : وهذا الرأى السيىء فينا ؟

القاضى : هذا ليس من عندنا . هذا ما ينطق به الواقع .

الجوسقى : هذا واقع فرضتموه علينا أنتم والمماليك .

القاضى : بل كان موجودا فى بلادكم من قبل أن يفتحها سلطاننا سليم الأول فقد انتزعها من أيدى المماليك .

الجوسقى : ليواصل بعدهم فرض هذا الواقع .

القاضى : لو كان ذلك لا يرضيكم لثرتم عليه .

الجوسقى : صدقت . هذه كلمة حق . لقد طال علينا الأمد فخيل إلينا أن السلاح لا ينبغى أن يحمله إلا مملوك أو عثمانى .

القاضى : ألم أقل لك إنكم شعب غير محارب ؟

الجوسقى : أما هذا فغير صحيح والواقع يكذبه .

القاضى : أى واقع ؟

الجوسقى : ألم تر كيف اشترك فلاحونا وعرباننا فى قتال الفرنسيس بشبراخيت ؟

القاضى : بالعصى والنبابيت ؟

الجوسقى : أجل بالعصى والنبابيت والفئوس والشماريخ . واستمروا يقاتلون حتى بعد ما انهزم مراد بك ومماليك

مراد بك .

روستى : أجل هذا حق .. استمروا فى الميدان حتى حصدتهم مدافع الفرنسيين حصدا .

الجوسقى : أفلا يستطيع من يواجه الموت بالعصى والنبابيت أن يواجه الموت بالبنادق والمدافع ؟

روستى : الواقع أن الفلاحين والعربان كانوا يناوشون الفرنسيين ويتخطفونهم على طول الطريق منذ خرجوا من الإسكندرية .

الجوسقى : أفيصح يا مولانا القاضى أن يقال عن هذا الشعب أنه شعب غير محارب ؟

القاضى : أنا أعنى أنه لا يحب الانخراط فى سلك الجندية .

الجوسقى : من طول ما حيل بينه وبينها حتى اعتقد أنها وقف على المماليك والأتراك .

(تسمع طبول تقرع من بعيد وأصوات كأصوات الذكر من جماعات الطرق الصوفية) .

روستى : ما هذا ؟

الجوسقى : لعله موكب السيد عمر مكرم (**ينادى**) يا شيخ عبد القادر .

عبد القادر : نعم . (**يظهر**) .

الجوسقى : ما هذا الضجيج .؟

حمزة : هذا موكب السيد عمر مكرم يطوف فى الشوارع بالبيرق النبوى الذى أنزله أمس من القلعة .

الجوسقى : أين يمر هذا الموكب الآن ؟

حمزة : فى شارع النحاسين .

الجوسقى : شكرا يا شيخ عبد القادر .

(ينسحب عبد القادر) .

روستى : ماذا ترى فى هذا الموكب يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : وا أسفاه . يقاتلون بالبركة . بغير سلاح وبغير نظام وبغير قائد .

القاضى : والسيد عمر مكرم ؟

الجوسقى : أسمعت فى تاريخ الإسلام بقائد يقود جيشه بمسبحته الكهرمان ؟

روستى : حتى نبيكم محمد فيما قرأت من تاريخه كان فارسا يتقدم الصفوف بسيفه ويعين المواقع ويرسم الخطط .

القاضى : صلى الله عليه وسلم .

الجوسقى : أجل لقد مسخنا يا مسيو روستى وأصبحنا خلقا آخر .

روستى : فى إمكانكم أن تعودوا كما كنتم .

الجوسقى : إذا عدنا إلى الجندية وتولينا الدفاع بأنفسنا لا بالمماليك .

روستى : ألا يوجد بين علمائكم وكبرائكم من يرى رأيك هذا يا شيخ سليمان ويفكر تفكيرك ؟

الجوسقى : لا يا مسيو روستى لا يوجد .

روستى : لماذا ؟ ألا يقرؤون تاريخ نبيكم وأسلافكم الأقدمين ؟

الجوسقى : هذا من أعجب العجيب . يتلون آيات القرآن ويقرؤون سيرة النبى وأصحابه وتاريخ أبطال الإسلام وكأنما طمست بصائرهم فلا يفقهون من ذلك شيئا .

روستى : لا تيأس يا شيخ سليمان . لا بد أن يتحقق يوما ما تريد لأن ذلك فى مصلحة الجميع .. فى مصلحتكم أنتم وفى مصلحتنا نحن الأجانب إذ يكفل لنا استقرار الأحوال وانتظام التجارة والتخلص من ظلم مراد وإبراهيم .

الجوسقى : وفى مصلحة الباب العالى كذلك .

القاضى : ما هذه الأخيرة ففيها شك .

الجوسقى : كلا يا مولانا القاضى ستكون بلا شك أقدر على الوفاء بالتزاماتنا نحو الباب العالى من هؤلاء المماليك.

القاضى : أجل ستكون الصلات بين الباب العالى ومصر أبسط وأخلص وأقرب إلى التفاهم والمودة إذا استتب الأمن فى مصر وساد فيها النظام والعدل بين الناس .

الجوسقى : ألم تعدنى يا مولانا القاضى بأن تحاول إقناع بكير باشا بهذه الفكر ؟ .

القاضى : بلى وقد حاولت ولكنى لم أنجح فى إقناعه .

الجوسقى : إنك غير مقتنع بها أنت نفسك .

القاضى : بل لأنه ناشف الدماغ كما يقولون . أتدرى ماذا قال

لى ؟ قال لى :إنه لا يستطيع أن يعتمد على جيش من العميان .

الجوسقى : أنت إذن ما شرحت له الفكرة .

القاضى : شرحتها ووضحتها . قلت له :إن هؤلاء المكفوفين سيكونون فقط النواة الأولى للجيش المنشود ريثما يتألف قوامه من أبناء الفلاحين والعربان .

الجوسقى : جميل .. فماذا قال ؟

القاضى : قال :إنه لا يؤمن بنجاح جيش نواته الأولى من العميان .

الجوسقى : وسكت على ذلك ؟

القاضى : لا .. قلت له :إنك استطعت أن تجمع آلاف العميان وتنشىء منهم كتلة مترابطة متماسكة فى كيان مستقل أساسه فقدان البصر كتماسك المماليك وترابطهم فى كيان مستقل أساسه الغربة وفقدان الأهل والعشيرة .

روستى : هذا مدهش يا سيد أدهم .

القاضى : الفضل فى ذلك للشيخ الجوسقى فهو الذى لقننى إياه .

الجوسقى : أنت والله أحسنت التلقى .. فماذا قال الوالى ؟

القاضى : قال :إن هذا معناه دولة داخل الدولة وهو لا يستطيع أبدا أن يسمح بقيامها .

الجوسقى : قاتله الله . أيريد أن يحمى سلطان المماليك فى بلادنا

حتى يبقى إلى الأبد ؟ أيريد أن يطبق السياسة التى رسمها سلطانكم سليم الأول حتى بعد ما تغيرت الأحوال وتبدلت الأوضاع وصار للمماليك السلطان المطلق وأصبح واليكم ألعوبة فى أيديهم .؟

القاضى : لهذا قلت لك آنفا إنه ناشف الدماغ .

روستى : معذرة يا شيخ جوسقى ماذا تريد من الوالى أن يصنع ؟

الجوسقى : هو لا يقدر أن يصنع لنا شيئا . كل ما نريده منه هو أن يقنع أولى الأمر فى الآستانة بأن يولوا ثقتهم للشعب فلا يعترضون على قيام جيش من أبنائه ، لينهض بما لم ينهض به جيش المماليك من حماية البلاد وحماية الأنفس وحماية الحقوق .

روستى : مع بقاء الولاء للباب العالى كما هو ؟

الجوسقى : نعم .

روستى : ما رأيت أرعن من هذا الوالى . كيف يضيع على دولته فرصة ثمينة كهذه يرجى منها أن تعزز مركزها وتصون سمعتها فى البلاد ؟ دولة داخل الدولة . أجل داخل دولة المماليك لا داخل الدولة العلية فماذا يضير الدولة العلية من ذلك ؟

القاضى : أنا والله قلت هذا كله لبكير باشا .

الجوسقى : أتدرى يا مولانا القاضى ماذا يعلمنا هذا ؟

القاضى : هيه ..

الجوسقى : أننا لا خلاص لنا من المماليك إلا بالخلاص من الأتراك .

القاضى : كلا لا تذهب بعيدا يا شيخ سليمان .

الجوسقى : أنتم والمماليك شيء واحد .

القاضى : كلا لا تقل هذا .

الجوسقى : لا تستطيعون أن تثقوا بنا نحن ـ أولاد العرب ـ أبدا .

القاضى : يا شيخ سليمان لا تدعنى أعتقد أن الذى يقال عنك صحيح .

الجوسقى : ما الذى يقال عنى ؟

القاضى : أنك تسعى لتكون سلطانا على مصر .

الجوسقى : بسلطانا ؟ وأنا أعمى ؟

القاضى : هذا ما سمعت .

الجوسقى : هذا ما يشيعه المماليك عنى ليوغروا صدر الدولة على .

القاضى : بل سمعت أكثر من ذلك .

الجوسقى : أنى سأجعل ابنى داود خليفتى فى الملك ؟

القاضى : نعم .

الجوسقى : هذا أكبر برهان على كذبهم . إنك تعرف د يا مولانا القاضى .

القاضى : نعم أعرفه .

الجوسقى : وأنت كذلك يا مسيو روستى ؟

روستى : نعم . شاب مسكين .. إدراكه متخلف .

الجوسقى : بل لا عقل له ولا إدراك . لا يصلح حتى زوجا لامرأته .. كل يوم تضربه امرأته ويضربها .

(يضحك الرجلان)

روستى : لماذا استعجلتم بزواجه .

الجوسقى : أمه هى التى استعجلت . تريد أن تفرح به كما يقولون . أو من يدرى لعلها ترجو من ابنها أن يأتى لها بولى عهد جديد !

(يتضاحك الثلاثة)

القاضى : اندفاعك يا شيخ سليمان فى كثير من الأحيان هو الذى يثير مثل هذه الأقاويل عليك .

الجوسقى : ماذا أصنع ؟ إن غباوة واليكم هذا لتغيظ دولة داخل الدولة !

القاضى : دع عنك بكير باشا . اترك هذا الأمر لى . سوف أقنعهم أنا بنفسى إذا عدت إلى الآستانة ..

الجوسقى : إذا عدت إلى الآستانة فستنسى كل شىء .

القاضى : كلا لن أنسى صديقى الشيخ سليمان الجوسقى وماله من أفضال على .

الجوسقى : يا مولانا القاضى أسرع الناس إلى نسيانى أكثرهم نصيبا من إحسانى .

القاضى : كأنك لا تريد أن تسدى إلينا معروفا بعد ؟

الجوسقى : عندك شيء تخاف عليه ؟

القاضى : كأنك تقرأ ما فى نفسى . هذه حلى امراتى من الذهب والألماس .

الجوسقى : هاتها فسأحفظها لك فى حرز حريز .

(يسلمه القاضى صندوقا صغيرا من الأبنوس المطعم بالعاج).

الجوسقى : (**مناديا**) يا غانم .

صوت : نعم . (**يدخل أحد العميان**) .

الجوسقى : ادن منى (**يدنو غانم منه**) احفظ هذه الوديعة للقاضى إبراهيم فى بيتك انطلق الآن .

غانم : سمعا يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : أخفها عن امراتك وأولادك . ذهب وألماس .

غانم : اطمئن يا مولانا الشيخ . (**يخرج منطلقا**) .

روستى : ليتنى جئت بودائعى أيضا إليك .

الجوسقى : جئنى بها يا مسيو روستى أو ابعثها مع أى رسول .

روستى : سأرسلها إليك مع ابنى (**ينهض وينهض القاضى**) .

الجوسقى : ألا تبقيان قليلا بعد ؟

القاضى : الدنيا على كف عفريت . (**يخرجان ويودعهما الجوسقى**) .

(تدخل ناصحة)

ناصحة : ما هذا الذى تقوله لضيوفك ؟

الجوسقى : سمعت حديثنا ؟

ناصحة : سمعته . لماذا تعيب لهم داود ابنك ؟

الجوسقى : ألم تسمعى التهمة ؟ لأنفيها عن نفسى .

ناصحة : وتلصق به كل هذه العيوب ؟

الجوسقى : هذه بعض عيوبه يا ناصحة !

ناصحة : ما من أحد إلا وله عيوبه .

الجوسقى : مثل ابننا داود ؟

ناصحة : وأسوأ من داود .

الجوسقى : جايز . لكن ما أظن أهله يؤشحونه ليكون ولى عهد السلطنة فى مصر !

ناصحة : حينما يكبر قليلا سيصفو ذهنه ويتسع عقله ويكون أهلا لهذا المنصب .

الجوسقى : حينما يكبر .. لقد جاوز العشرين وما زال يغلط فى حروف الهجاء .

ناصحة : كلا يا سيدنا الشيخ . المعلم الجديد اتبع فى تعليمه طريقة جديدة فنجح .

الجوسقى : من الذى نجح ؟ المعلم أم داود ؟

ناصحة : المعلم .

الجوسقى : وما شأننا نحن بالمعلم ؟

ناصحة : داود ابنك صار يحفظ حروف الهجاء عن ظهر قلب . أتريد أن تمتحنه ؟

الجوسقى : لا داعى يا ناصحة . هل حفظ البخارى ؟

ناصحة : بل واجب عليك لتشجعه على المضى فى اجتهاده .
(**تناديه**) يا داود . داود .

داود : (**صوته من بعيد**) نعم يا أمه .

ناصحة : تعال .. أجب والدك .

داود : (**صوته**) أنا مشغول يا أمه ..

ناصحة : ماذا تعمل ؟

داود : اركب على الحصان .

ناصحة : لا بأس .. تعال .

داود : (**صوته**) أدخل بحصانى ؟

ناصحة : نعم .

داود : (**يسمع صوته مقبلا وهو يقلد حركة الحصان**)
ككك ككك ككك ككك .
(يدخل وفى يمناه مضرب من الخشب وفى يسراه قصبة من الذرة يجرها بين رجليه فيدور بها حول القاعة) .

ناصحة : أرأيت ؟ فارس من نعومة أظفاره ! سلطان عظيم !

الجوسقى : الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

ناصحة : بس يا داود . اربط الحصان وتعال .

داود : أربطه ؟ كيف ؟ والفرنسيس من ذا يقاتلهم ؟

ناصحة : سمعت ؟ مخلص لوطنه ! مجاهد ! (**لداود**) كلا ؛
داود الفرنسيس ما زالوا بعيدا عنا الآن .
(يسند داود القصبة بجانب الجدار كأنه يربط

جواده ثم يتقدم نحو أبيه وأمه)

داود : نعم .

ناصحة : والدك فرح جدا لما علم أنك صرت تحفظ ألف باء عن ظهر قلب .

داود : تحب يا أبى أسمعك ؟

الجوسقى : نعم . هات يا بنى .

داود : أرز ألف / بصل باء / ترمس تاء / ثوم ثاء / جوز جيم / حمام حاء / على فكرة أنا أحب الحمام جدا . أكلينا الحمام اليوم يا أمه .

ناصحة : طيب كمل أولا . حمام حاء / .

داود : حمام حاء / خروب خاء / أنا عطشان يا أمه . سأروح لبائع الخروب (يتحرك ليخرج) .

ناصحة : انتظر .

داود : سأعود إليكم فى الحال . سأترك لكم حصانى وسيفى .

العديسى : طيب يا داود رح لبائع الخروب وخذ حصانك وسيفك .

داود : أما تحب أن أسمعك الباقى يا أبه ؟

الجوسقى : لا داعى يا بنى . يكفى ما سمعت .

ناصحة : أبوك مبسوط منك يا داود .

داود : صحيح يا أبه .؟

الجوسقى : صحيح .

ناصحة : إذن فاجتهد زيادة حتى تصير إنسانا عظيما .. سلطان زمانك .

(يأخذ حصانه وسيفه فيخرج)

ناصحة : كيف رأيت ؟ تحسن كثيرا أليس كذلك ؟

الجوسقى : يا ناصحة لاتتعلقى بالمحال . هذا الولد لا يصلح لشىء . هكذا ربنا أراد .

ناصحة : لا تبتئس يا سيدنا الشيخ . إن لم ينفع داود ابن سليمان فسينفع سليمان بن داود !

الجوسقى : وأين هو ؟

ناصحة : فى الطريق .

الجوسقى : هذه غاضبة عند أهلها منذ شهر .

ناصحة : انقطع عنها الدم هذا الشهر .

الجوسقى : من أين عرفت ؟

ناصحة : أمها بعثت لى أمس .

الجوسقى : لكنك لم تخبرينى .

ناصحة : كنت البارحة مع ضيوفك زعماء الأقاليم إلى ما بعد منتصف الليل .

الجوسقى : وما يدريك ربما تجىء أنثى .

ناصحة : كلا أنا واثقة أنه ذكر ! سليمان بن داود !

الجوسقى : ثم ما يدريك لعله يطلع مثل أبيه .

ناصحة : كلا ... مستحيل ... سيطلع مثلك أنت لا شك فى ذلك .

الجوسقى : لا تجزمى على الغيب . فيجزم الغيب عليك .

ناصحة : يا سيدنا الشيخ الخلفة مثل الرؤيا تفسر بعكسها . أنت راجح العقل فطلع ابنك أحمق، وهو أحمق فسيطلع ابنه راجح العقل .

الجوسقى : دعينا من هذه الخرافة .

ناصحة : هذه ليست خرافة . هذه قدرة اللّه وحكمته !

الجوسقى : ناصحة . اسمعى يا ناصحة .

ناصحة : نعم .

الجوسقى : أصبحت أخاف على عقلك الآن .

(يدخل عبد القادر)

عبد القادر : مولانا الشيخ .

الجوسقى : ماذا عندك ؟

عبد القادر : بالباب الشيخ الشرقاوى والشيخ السادات والشيخ المهدى .

الجوسقى : قل لهم يتفضلوا .

(تنسحب ناصحة)

(يدخل الشيوخ الثلاثة)

الثلاثة : السلام عليكم .

الجوسقى : وعليكم السلام ورحمه اللّه مرحبا بكم . اجلسوا (**يجلسون**) هل من حاجة فأقضيها لكم ؟

الشرقاوى : أنت دائما صاحب الفضل يا شيخ سليمان .

الجوسقى : تريدون أن أقرضكم ؟

الشرقاوى : فى مثل هذا الوقت العصيب يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : وهل يحلو العون إلا فى الوقت العصيب ؟

المهدى : الناس تخاف اليوم على ما فى يدها من المال يا شيخ سليمان فيكف تستقرض ؟

الجوسقى : الحمد لله . إذن فما أنتم بحاجة إلى الاستقراض .

المهدى : نحن على استعداد لأن نقرض .

الجوسقى : جئتم أذن لتقرضونى ؟

السادات : كلا كلا . أنت فى غنى عن ذلك يا شيخ سليمان . وإنما جئنا لنحفظ عندك ودائعنا ريثما تنقشع هذه الغمة .

الجوسقى : أموال سائلة أم جواهر ونفائس ؟

السادات : أموال سائلة وجواهر ونفائس .

الجوسقى : وجئتم بها معكم ؟

الشرقاوى : جئنا ببعضها وسنجىء بالباقى .

الجوسقى : ألم يخطر ببال أحد منكم أن يدفع لى أولا ما اقترضه منى من قديم ؟

المهدى : بلى يا شيخ سليمان كنا سنفعل ذلك بغير شك .

السادات : خذ من كل واحد منا مالك عليه واحفظ الباقى وديعة عندك .

الجوسقى : هاتوا إذن حقى أولا .

السادات : كيس واحد يا شيخ سليمان أم كيسان ؟

الجوسقى : بل كيسان يا أبا الأنوار .

السادات : ذاكرتك أجود من ذاكرتى . خذ (**يقدم له كيسين**) .

الشرقاوى : وأنا أيضا على كيسان .

الجوسقى : بلا ثلاثة يا شيخ الإسلام .

الشرقاوى : أنا واثق بأمانتك ولو قلت لى مائة . خذ . (**يقدم له ثلاثة أكياس**) .

الجوسقى : وأنت يا شيخ مهدى ؟

المهدى : أنا لا أنسى ولا أغالط . كيس واحد . خذ (يقدم له كيسا) .

الجوسقى : (**يتحسس الأكياس الستة**) حمزة . ادخل بهذه الأكياس إلى أم داود .

حمزة : (**يظهر**) سمعا يا مولانا الشيخ (**يحمل الأكياس ويخرج بها من الباب الثالث**) .

الجوسقى : أيها الشيوخ خذوا ودائعكم فاحفظوها عند غيرى .

الثلاثة : كلا نحن لا نأمن عليها غيرك .

الجوسقى : لو كنتم تأمنوننى حقا لجئتم فرادى إلى .

الشرقاوى : هل ساءك أننا جئنا مجتمعين ؟

السادات : أى بأس فى ذلك يا شيخ سليمان ؟

المهدى : لو كنا نعلم لجئنا فرادى .

الجوسقى : يا شيوخ الوقت ما جئتم مجتمعين إلا ليشهد بعضكم لبعض على خشية أن أجحد هذه الودائع .

الشرقاوى : معاذ الله يا شيخ سليمان .

السادات : سامحك اللّه فيما أسأت بنا الظن .

الجوسقى : أيها المشايخ .. ليس من العدل أن أحفظ ودائعكم . شأنكم كشأن غيركم من الأمة ينالكم ما ينالهم .

الشرقاوى : لكن عندنا أموال كبيرة لا يحل لنا أن نتركها تقع فى أيدى هؤلاء الكفرة .

المهدى : فيتقووا بها على المسلمين ..

الجوسقى : ما شاء اللّه . ما شاء اللّه . وهل يليق بشيوخ العلم أن يكون همهم جمع المال والتكالب عليه ؟

المهدى : وأنت يا شيخ سليمان ألم تكن من أكثر الناس جمعا للمال من حله ومن غير حله ؟

الجوسقى : يا شيخ مهدى ما بلغ بى الجشع أن أضم إلى ثروتى تركات الموتى بالطاعون كما فعلت أنت .(**يسكت الثلاثة واجمين**) يا شيوخ الوقت لماذا سكتم ؟

الشرقاوى : إن كنت لا تريد أن تجيبنا إلى ما طلبنا فأمسك لسانك عنا .

الجوسقى : يا شيخ الوقت . إن الشاعر يقول :

ومن دعا الناس إلى ذمه

ذموه بالحق وبالباطل .

(تسمع طبول موكب السيد عمر مكرم قادمة من بعيد) .

الجوسقى : أتسمعون يا شيوخ الوقت . هذا موكب السيد عمر مكرم .

السادات : رياء وسمعة .

الشرقاوى : يلعب بعقول العامة .

المهدى : ويدفعهم إلى التهلكة .

الجوسقى : خير منكم على كل حال . أين من يخشى على أمواله من الفرنسيس ممن يدعو الناس إلى قتال الفرنسيس ؟

السادات : هلموا بنا ننصرف . لا ينبغى لنا أن نرد عليه .

المهدى : ومن ذا يعض الكلب إن عضه الكلب ؟

الجوسقى : أشكركم يا شيوخ الوقت إذ قضيتم لى ذلك الدين القديم .

(يخرج المشايخ الثلاثة)

(يقترب الموكب وتعلو الطبول والأصوات ثم تنقطع فجاة) .

عد القادر : **(يدخل)** مولانا الشيخ . السيد عمر ومكرم يريد أن يلقاك .

الجوسقى : **(ينهض من مقعده)** قل له يتفضل . أهلا وسهلا ..

(يدخل السيد عمر مكرم ومعه اثنان من خواصه)

عمر مكرم : السلام عليكم ورحمة اللّه .

الجوسقى : وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته ، مرحبا بنقيب الأشراف .. اجلس .

عمر مكرم : ليس هذا وقت الجلوس يا شيخ سليمان . إنما عرجت بالموكب عليك لتساعد المجاهدين بما تسمح به نفسك .

الجوسقى : معذرة أيها السيد النقيب إنك تعرف رأيى فى هذا الأمر .

عمر مكرم : ما جئنا نطلب رأيك يا شيخ سليمان بل مالك .

الجوسقى : أنا لا أنفق مالى فيما يخالف عقيدتى ورأيى .

عمر مكرم : لا تؤمن بالجهاد فى سبيل اللّه يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : ما هكذا يكون الجهاد يا سيدى النقيب .

عمر مكرم : فكيف يكون ؟

الجوسقى : دعهم يرابطوا فى بيوتهم . كل فى بيته وبين أهله يستعد بما فى يده من مدى وسكاكين وحجارة وطوب وماء مغلى وزيت مغلى وكل ما يقتل أو يجرح واتركوا المماليك هم الذين يقاتلون اليوم وحدهم فهذا واجبهم وهذه وظيفتهم حتى تقع التبعة عليهم وحدهم إذا انهزموا ولا يلقوها على غيرهم من هؤلاء الذين لا سلاح لهم ولا ظهر .

عمر مكرم : كلا لقد صار الجهاد اليوم فرضا على كل قادر من الأمة .

الجوسقى : فالذين يرابطون فى بيوتهم هم المجاهدون .

عمر مكرم : بل المجاهدون هم الذين يخرجون من بيوتهم لقتال العدو .

الجوسقى : إنك لا تعرف شيئا يا سيد عمر . إن هؤلاء الفرنسيس قوم مدربون على القتال ولهم طرق عجيبة تدربوا عليها وتعلموها ولهم مدافع يحملونها على الخيول

فهى تتحرك معهم أينما تحركوا . أتقاتلون حملة المدافع وركاب الخيل بالعصى والنبابيت .؟

عمر مكرم : أنا شدك اللّه يا شيخ سليمان ألا تخذل الناس عن الجهاد .

الجوسقى : يا سيدى النقيب إن أبيتم إلا الاشتراك فى القتال اليوم فاختاروا من بينكم الشباب الأقوياء الأشداء فوزعوهم على مداخل المدينة وأبواب الحارات ليرابطوا فيها فتطمئن نفوس الأهالى ولا يطير بها الفزع ولا الوهل . أما أن تجمعوا الناس على الطبول والأذكار ليبيتوا ليلهم فى شوارع بولاق تاركين نساءهم وأولادهم فى فزع وجزع لا يدرين ماذا أصاب رجالهن ولا ماذا سيصيبهن فهذا هو الخذلان بعينه وسيقضى بالأمة إلى كارثة محققة . فانظر يا سيد عمر على من تقع تبعتها !

عمر مكرم : اسكت . ما أنت إلا أعمى وسط عميان فما أنت والحرب والجهاد ؟

الجوسقى : أنت الأعمى يا سيد عمر . لأنك لا ترى ما هو أبعد من أنفك .

عمر مكرم : إنما بخلت بمالك فقلت ما قلت لتتنصل من واجب البذل فى سبيل اللّه .

الجوسقى : كم كنت تطمع أن تأخذ منى يا سيد عمر ؟

عمر مكرم : أنت غنى كبير .

الجوسقى : ثلاثة أكياس من الذهب ؟

عمر مكرم : مقبول منك .

الجوسقى : يا حمزة أحضر لهم الأكياس الستة .

(يحضر حمزة الأكياس الستة فى أسرع من لمح البصر) .

عمر مكرم : (**فى خجل**) لقد ظلمتك يا شيخ سليمان فسامحنى .

الجوسقى : **لا تثريب عليك** . يغفر اللّٰه لك .

(يخرج عمر مكرم وصاحباه) .

(تفرع الطبول من جديد ويبتعد الموكب شيئا فشيئا) .

ناصحة : (**تعود**) تعطيه الستة الأكياس فى شىء ليس من رأيك ؟

الجوسقى : لأكسر بها عينه لعلنا نحتاج إليه ذات يوم .

ناصحة : يا سيدنا الشيخ إنك ستحتاج إلى هذا المال فيما بعد لتنفقه فى سبيل غايتك .

الجوسقى : إنما قيمة المال يا ناصحة حيث يكون صاحبه قادرا على الانتفاع به .

(يسمع وقع حوافر خيل مقبلة)

ناصحة : اسمع ! خيل مقبلة !

عبد القادر : (**يظهر**) إبراهيم بك يا مولانا الشيخ قادم فى الزقاق.

الجوسقى : إن كان يريد أن يدخل عندنا فدعه يتفضل .

ناصحة : ماذا يريد ؟ (**تنسحب داخل البيت**)

(يدخل إبراهيم بك ومعه ثلاثة من أتباعه المماليك).

إبراهيم : السلام عليك يا شيخ جوسقى .

الجوسقى : وعليكم السلام ورحمة الله . مرحبا بك يا إبراهيم بك . شرفت بيتنا .

إبراهيم : لا شك أنك تعرف آخر الأخبار يا شيخ جوسقى من أعوانك .

الجوسقى : نعم .

إبراهيم : سنرد الغزاة منهزمين إن شاء الله غير أن الاحتياط واجب .

الجوسقى : صدقت يا إبراهيم بك . الاحتياط واجب .

إبراهيم : عندى بضعة صناديق ـ صناديق صغيرة لا يصعب حملها ولا حفظها ـ تحفظها لى حتى تنتهى مدة المعركة .

الجوسقى : اين أحفظها يا إبراهيم بك ؟ فى بيتى هنا ؟

إبراهيم : بيتك هذا عرضة للتفتيش ولكن وزعها على أصحابك ليحفظوها فى بيوتهم .

الجوسقى : يا إبراهيم بك لا أستطيع أن أتحمل التبعة .

إبراهيم : لا تخف . إن ضاعت فلن أؤاخذك .

الجوسقى : اليوم تقول لى هذا القول ولكن غدا إذا ضاعت فستتهمنى بأننى خنت الأمانة .

إبراهيم : كلا يا شيخ سليمان أنت عندى محل الثقة .

الجوسقى : هل تريد أن تكرهنى على ذلك يا إبراهيم بك .

إبراهيم : كلا يا شيخ جوسقى . ومن ذا يستطيع أن يكرهك ؟

الجوسقى : إذن فاقبل نصيحتى . لا تهتم بغير العمل على كسر الفرنسيس وطردهم من البلاد .. لا بمال ولا بكنز ولا بأى شىء آخر .

إبراهيم : كل ما أخشاه أن تقع هذه النفائس فى أيديهم فيتقووا بها علينا .

الجوسقى : يا إبراهيم بك إذا دخل الفرنسيس العاصمة فسيستولون على كل شىء فيها وإن لم يدخلوا فلن يستولوا على صناديقك .

إبراهيم : يا شيخ سليمان من الجائز أن يدخلوا العاصمة ولكننا حتما سنخرجهم منها وحينئذ تسلم لنا النفائس التى خبأناها عنهم .

الجوسقى : إبراهيم بك هل تريد أن أصارحك ؟

إبراهيم : لا بأس .

الجوسقى : ليس من العدل أن تفقد الأمة كنوزها وأموالها من جراء تقصيركم فى الدفاع عنها ثم أقوم أنا بحفظ كنوزكم وأموالكم أنتم .

إبراهيم : يا شيخ سليمان اجعل لنفسك نصيبا فيها عشر قيمتها .

الجوسقى : كلا يا إبراهيم بك .

إبراهيم : خذ الخمس .

الجوسقى : ولا النصف .

إبراهيم : فكم تريد ؟

الجوسقى : لا أريد منك شيئا .

إبراهيم : أليس هذا خيرا لك من الإتاوات التى تفرضها على الشحاذين العميان ؟

الجوسقى : يا إبراهيم بك أنا لا أفرض إتاوات على أحد .

إبراهيم : فما هذه الأموال التى تأخذها منهم مما يجمعونه من الشحاذة بالليل والنهار ؟

الجوسقى : أنا يا إبراهيم بك شيخ الكفوفين فعلى أن أحفظ لهم أموالهم وأرعى شئونهم . ولست يا إبراهيم بك بمكفوف فأحفظ لك مالك .

إبراهيم : بل بنيت من أموالهم العمارات والوكايل وأنشأت المطاحن والمعاجن ، والمخابر .

الجوسقى : أجل . وكلها ملك لهم لا ملكى أنا .

إبراهيم : لكنك تتصرف فيها تصرف المالك .

الجوسقى : لأنى أمين عليها وهم يثقون بأمانتى .

إبراهيم : ومن مات منهم ورثته وضممت أمواله إليك .

الجوسقى : لأنى أنفق على العجزة منهم واليتامى والأرامل .

(يسمع وقع حوافر خيل مقبلة من بعيد)

إبراهيم : ما هذا ؟

الجوسقى : يا إبراهيم بك .. الناس تتأهب للقاء العدو المغير وأنت قاعد هنا تناقشنى !

عبد القادر : (**يدخل**) مراد بك يا مولانا الشيخ قادم إلينا .

إبراهيم : مراد بك ؟ ماذا جاء به ؟

الجوسقى : لعله فرغ من قتال العدو وجاء ليبشرك بالنصر !!

إبراهيم : لا تخبره بشىء مما دار بيننا .

الجوسقى : اطمئن يا إبراهيم بك .

(**يدخل مراد ومعه خمسة من أتباعه المماليك**) .

مراد : أنت هنا يا إبراهيم بك (**يتقدم نحوه مادا إليه يده**)

إبراهيم : فرصة سعيدة يا مراد بك . (**يمد يده فيقبلها مراد**)

مراد : (**يستعيد كبرياءه وعنجهيته كأنه يحتج على اضطراره لتقبيل يد إبراهيم جريا على العادة المتبعة**) هذه عادتك . لا أذهب إلى مكان حتى أجدك قد سبقتنى إليه . حتى عند شيخ العميان !

إبراهيم : مجرد صدفة .

مراد : صدفة ؟ أم تتجسس على وعلى حركاتى ؟

إبراهيم : فيم تسىء الظن يا أخى ؟ لم لا تقول إنى علمت بأنك قادم هنا عند صديقنا الشيخ الجوسقى فحرصت على لقائك ؟

مراد : لقاء الوداع !

إبراهيم : نعم فربما لا ترانى بعد اليوم .

مراد : أنت فى الجانب الشرقى فلا خوف عليك .

إبراهيم : ما يدريك لعل هجمتهم الكبرى ستكون من الجانب الشرقى .

مراد : كلا بل من الجانب الغربى . إنهم يسيرون فى البر الغربى .

إبراهيم : أنا على استعداد أن أتبادل معك المواقع إن شئت .

مراد : الآن بعد ما سيرت مماليكى ورجالى إلى إنبابة ؟

إبراهيم : ما أيسر أن تعديهم إلى البر الثانى .

مراد : لعلك تريد أن تظفر بمجد الانتصار هه ؟

إبراهيم : مجد الانتصار تركته لك فى شبراخيت . ولكنى أشتهى أن آكل الفستق !

مراد : الفستق ؟

إبراهيم : كنت تقول عن الفرنسيس أنهم مثل الفستق .

مراد : (**غاضبا**) لو لقيتهم أنت ورجالك فى شبراخيت لأكلوكم مثل الترمس لا مثل الفستق .

إبراهيم : الحمد لله إذ كفيتمونا هذه المثوبة . أنا ورجالى مثل الترمس وأنت ورجالك مثل ماذا ؟

مراد : مثل الأسود !

إبراهيم : (**يقهقه ضاحكا فيقهقه معه رجاله الثلاثة**) مثل الأسود .

مراد : (**يستشيط غضبا**) مم تضحكون أيها الأرانب ؟

إبراهيم : (**يزداد ضحكا هو ورجاله**) كنا ترمسا فصرنا الآن أرانب ؟

(**يسل مراد ورجاله سيوفهم غضبا**)

إبراهيم : (**يسل هو ورجاله سيوفهم**) الأرانب لا تقدر على الأسود !

الجوسقى : (**صائحا بأعلى صوته**) ما هذا الذى تصنعون ؟ إن أردتم أن تتبارزوا فتبارزوا خارج بيتى . ويلكم . تتركون العدو على الأبواب وتتناقرون هنا تناقر الديكة ؟

مراد : ألم تر كيف سخر منى ؟

إبراهيم : هو الذى بدأ .

مراد : اشهد يا شيخ سليمان أينا المتعدى أنا أم هو ؟

الجوسقى : كل منكما تعدى على أخيه ولكنك زدت عليه يا مراد بك إذ تعديت على .

مراد : عليك أنت ؟

الجوسقى : نعم دخلت فلم تكلف خاطرك حتى السلام على صاحب البيت .

مراد : سامحنى يا شيخ سليمان ، رأيت هذا عندك فأنسانى الواجب .

إبراهيم : اعذره يا شيخ سليمان فقد كان يحسبنى بونابرته !

مراد : (**يعرض عنه**) وأنسانى كذلك ما جئت من أجله .

الجوسقى : خيرا يا مراد بك .

مراد : قدموا له ما معكم .

(**يقدم رجاله صناديق موضوعة فى مكاتل فيضعونها**

أمام الجوسقى) .

الجوسقى : ما هذه يا مراد بك ؟

إبراهيم : هدايا لك يا شيخ سليمان ؟

مراد : (**يعرض عنه فى غيظ مكظوم**) ودائع تحفظها عندك حتى تنتهى هذه المناوشات .

الجوسقى : المناوشات ؟ (**يضحك إبراهيم**) .

مراد : هذه المعركة .

الجوسقى : كلا يا مراد بك احفظها عند غيرى .

مراد : أنا لا آمن أحدا غيرك .

الجوسقى : اسأل إبراهيم بك فقد طلب منى مثل هذا فرفضت .

إبراهيم : نعم . حاولت معه بكل سبيل فلم يقبل .

مراد : (**للجوسقى**) أين هى الودائع التى رفضتها له ؟

الجوسقى : اسأله هو .

إبراهيم : تركتها فى بيتى حتى أستأذن الشيخ أولا .

الجوسقى : لو فعلت مثله يا مراد بك لكان أفضل .

مراد : هيه أتظننى غبيا لا أفهم ؟ لا شك أنه جاءك بها فوزعتها أنت على أصحابك العميان ليخبئوها فى بيوتهم .

إبراهيم : أنت ذكى جدا يا مراد بك أنت المعى !

مراد : اسكت أنت لا كلام لى معك .

إبراهيم : أتكذب الشيخ سليمان فى وجهه ثم تستأمنه على كنوزك !

مراد : هذه مكيدة منك . أنت أوعزت إليه بذلك .

الجوسقى : أنا يا مراد بك لا أقبل أن يوعز إلى أحد بما لا أريد .

إبراهيم : ماذا تظن الشيخ الجوسقى ؟ مملوكا من المماليك ؟ ألا تعلم أن له من الأتباع أضعاف عدد أتباعك ؟

مراد : اخرج أنت من هنا .. لا شأن لك بما بينى وبينه . اخرج إلى عرضيك الذى أقمته فى بولاق لتضحك به على الناس .

إبراهيم : (**بكل هدوء**) كما تفعل أنت بالمعسكر الذى أقمته فى إنبابة ؟

مراد : (**يتميز غيظا**) اللهم ارزقنى الصبر ، ألم تنته زيارتك ؟ ألا تستأذن وتنصرف ؟

إبراهيم : ائذن لنا يا شيخ جوسقى . (**ينهض هو ورجاله لينصرفوا**) .

الجوسقى : مع سلامة اللّه يا إبراهيم بك . لا تؤاخذنى إذ رفضت .

إبراهيم : أنت معذور . أنت على حق . لا يصح أن ننهزم فى شبراخيت ونعرض أموال الرعية للضياع ثم نكلفك بأن تحفظ لنا أموالنا (**يخرج ورجاله**)

مراد : حسود حقود ، يشتهى أن تضيع أموالى وكنوزى وتبقى له هو وحده أمواله وكنوزه .

الجوسقى : ألا تصدقنى يا مراد بك ؟

مراد : احلف لى ليطمئن قلبى .

الجوسقى : والله العظيم لقد رفضت ودائعه .

مراد : أحسنت يا شيخ سليمان فهو لا يستحق خدمتك .إنه لم يقم بشيء فى الدفاع عن البلاد ولن يقوم بشيء . أما ودائعى فقد أحضرتها ولا يصح أن تردها .

الجوسقى : سأحفظها لك مراد بك ولكن بشرط ..

مراد : اشترط ما تشاء يا صديقى العزيز .

الجوسقى : عندك ترسانة ملأى بالأسلحة والبارود .

مراد : نعم .

الجوسقى : أعطنى مفتاحا وأنا أخبىء لك الأسلحة عندى وأحفظها لك مع هذه الودائع .

مراد : كلا لا شأن لك بالأسلحة .

الجوسقى : إنها اليوم أثمن من هذه الحلى والجواهر وأخطر على البلاد إن وقعت فى أيدى العدو .

مراد : بل تريد ياخبيث أن توزعها على الرعاع ليقاتلونا بها فيما بعد ! أتحسبنى لا أعرف الهدف الذى ترمى إليه ؟

الجوسقى : هذه الأسلحة التى تبخل بها علينا اليوم ستقع غدا فى يد بونابرته .

مراد : لا شأن لك .

الجوسقى : إذن فلا شأن لى بودائعك هذه .. اردها إلى حيث كانت .

مراد : تتحدانى يا شيخ العميان ؟

الجوسقى : نعم .

مراد : سترى ما يصيبك .

الجوسقى : قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللّٰه لنا .

مراد : سترى .

الجوسقى : أسد على وفى الحروب نعامة .

(فتخاء تجفل من صفير الصافر .)

مراد : دع عميانك ينفعونك .

الجوسقى : تذكر أن هؤلاء العميان قد نفعوك كذلك ذات يوم .

مراد : متى ؟

الجوسقى : يوم جئت من الصعيد عقب صدور العفو عنك فقيرا لا تملك شروى نقير فأقرضتك من أموال هؤلاء العميان فلهم فضل عليك .

(يدخل أحد العميان) .

الجوسقى : ماذا وراءك يا عمارة ؟

عمارة : الفرنسيس تحركوا أول الصباح من أم دينار .

الجوسقى : أدركهم يا مراد بك فلعلهم الآن على مقربة من وراق الحضر .

(يخرج مراد ورجاله مسرعين وقد حملوا الودائع معهم)

(تدخل ناصحة زوجة الجوسقى)

الجوسقى : ناصحة ماذا تريدين يا ناصحة .

ناصحة : ادخل يا سيدنا الشيخ . فاختبىء فى الحال .

الجوسقى : خوفا من مراد ؟

ناصحة : نعم .

الجوسقى : أكنت تسمعين حديثنا ؟

ناصحة : من أوله إلى آخره .

الجوسقى : هذا رجل نفاج يقول أكثر مما يفعل .

ناصحة : كلا يا سيدنا الشيخ لقد راقبت عينيه وهو يهددك فرأيت فيهما المدى والسكاكين .

الجوسقى : أكنت ترقبيننا أيضا ؟

ناصحة : نعم من خلف ذاك الشباك .

الجوسقى : ماذا ترون يا جماعة ؟

أصوات : (**من ناحية الشمال**) كنا سنشير عليك يا مولانا الشيخ بهذا الرأى الذى قالته أم داود .

الجوسقى : أتخافون منه ومن رجاله ؟

الأصوات : كلا لا نخاف منهم ولكن نخاف عليك والاحتياط أفضل .

ناصحة : أحسنتم يا جماعة . هيا بنا يا سيدنا الشيخ .

الجوسقى : اسمعوا يا إخوانى . إن وقع المحذور وجاء رجال مراد فاتركوهم يفتشون كما يشاءون فلن يهتدوا إلى مخبئى أبدا .

الأصوات : إلا إذا اعتدوا علينا فسنعتدى عليهم .

الجوسقى : تجنبوا الاشتباك معهم بقدر الإمكان فما ينبغى أن نبدد قوانا من الآن .

الأصوات : سمعا يا مولانا الشيخ .

(يخرج الجوسقى وناصحة من الباب الثالث)

(يظهر عبد القادر وحمزة على المسرح)

حمزة : يجب أن نستدعى أصحابنا المسلحين يا عبد القادر .

عبد القادر : لكن مولانا الشيخ أوصانا بالمسالمة .

حمزة : لن يشهروا سلاحهم إلا عند اللزوم .

عبد القادر : كلا ليس الآن يا حمزة . سوف نستدعيهم عند اللزوم .

(يسمع وقع حوافر جواد مقبل)

حمزة : ها هم أولاء قد جاءوا .

عبد القادر : هذا حصان واحد .

(يسمع شجار فى الخارج)

صوت : قل له : أيوب بك الدفتردار .

صوت : يا أيوب بك . الشيخ غير موجود .

أيوب : **(صوته)** لا بد لى أن أراه الآن .

عبد القادر : دعوه يدخل . ادخل يا أيوب بك .

أيوب : **(يدخل)** أين الشيخ سليمان ؟

ناصحة : **(تعود مسرعة)** مرحبا بك يا أيوب بك .

أيوب : كيف أنت يا أم داود ؟ أين أبو داود ؟

ناصحة : **(بصوت خافض)** مختبىء .

أيوب : مختبىء ؟

ناصحة : من رجال مراد بك . تحب أن تراه فى مخبئه ؟

أيوب : نعم لا بد أن أراه اليوم .

ناصحة : هلم معى (**يخرجان من الباب الثالث**) .

حمزة : لكن حصانه .

عبد القادر : ماله ؟

حمزة : سيرونه إذا جاءوا .

عبد القادر : صدقت أبعدوا الحصان يا جماعة . اربطوه وراء السور الخلفى واحرسوه .

حمزة : لا يجىء هذا الدفتردار إلا فى هذه الساعة !

عبد القادر : صديق الشيخ وصفيه .

حمزة : يطلعه حتى على مخبئه ؟

عبد القادر : لا خوف منه .

حمزة : واحد منهم .

عبد القادر : مختلف عنهم .

حمزة : آه متى يجىء يومنا يا عبد القادر ؟ متى نرى مولانا الشيخ وقد جلس على كرسى الوالى فى قلعة الجبل ؟

عبد القادر : قريبا إن شاء الله .

حمزة : لقد انتظرنا خمسا وعشرين سنة .

عبد القادر : هؤلاء الفرنسيس ربما يقربون ذلك اليوم .

حمزة : لكنهم سيحكمون بلادنا ويحتلونها .

عبد القادر : لن يبقوا فيها طويلا ، إذا تكون لنا جيش من الشعب.

حمزة : ومتى يتكون لنا ذلك الجيش ؟

عبد القادر : إن لم يكن فى الجيل ألذى نحن فيه . ففى الجيل

الذى يليه .

حمزة : آه .. سننتظر إذن طويلا بعد .

عبد القادر : لا بأس يا حمزة . فساد نشأ فى قرون لا يمكن إصلاحه فى يوم وليلة .

(تسمع جلبة من الخارج ثم يدخل سبعة من مماليك مراد وهم شاكو السلاح وقد أحاط بهم العميان كأنهم يحاولون منعهم من الدخول) .

المماليك : أيها العميان ابتعدوا عن طريقنا . **(يضربونهم بظهور السيوف)** .

العميان : شيخنا غير موجود . كيف تدخلون بغير استئذان ؟

المماليك : بأمر مراد بك .

العميان : ليس لمراد بك هنا أمر .

(تدخل ناصحة) .

ناصحة : ماذا تريدون يا قوم ؟

المماليك : **(مقدمهم)** مليحة . أنت جارية الشيخ الجوسقى ؟

ناصحة : **(بثبات)** أنا زوجته وأم عياله .

المقدم : مليحة . لكن كبيرة .

ناصحة : مثل عيوبكم . ماذا تريدون ؟

المقدم : أين زوجك ؟

ناصحة : ماذا تريدون منه ؟

المقدم : لنأخذه معنا إلى مراد بك . أين هو ؟

ناصحة : خرج .

المقدم : خرج ؟ كان هنا مع مراد بك .

ناصحة : نعم . خرج مراد بك من هنا وخرج هو من هنا .

المقدم : غير معقول : فتشوا يا رجال . فتشوا البيت .

ناصحة : فتشوا كما تحبون .

(يتفرق المماليك فى أرجاء البيت وتبقى ناصحة واقفة فى القاعة وحولها العميان) .

حمزة : قد أحضرنا المسلحين يا أم داود ؟

ناصحة : ماذا نصنع بهم ؟

حمزة : إن شئت فتكنا بهؤلاء المماليك .

ناصحة : كلا يا حمزة .

حمزة : واستولينا على أسلحتهم و لم نبق لجثثهم من أثر .

ناصحة : كلا كلا . مولانا الشيخ لا يريد اليوم أن تحدث فتنة .

(يعود المماليك خائبين) .

المقدم : أين ذهب ؟

ناصحة : ذهب ليقاتل الفرنسيس ؟

المقدم : أتسخرين ؟

ناصحة : هكذا قال لنا حين خرج . قال : إن قتال المماليك لم يعجبه فذهب ليقاتل الفرنسيس بنفسه .

المقدم : **(ينظر إليها مليا)** ذهب إلى عرضى إبراهيم بك بولاق أم إلى معسكر مراد بك يا نبابة ؟

ناصحة : أين ينتظر أن يقع القتال ؟ فى بولاق ؟

المقدم : بولاق ؟ إبراهيم بك يلعب ويتنزه في بولاق . القتال سيكون في إنبابة .

ناصحة : إذن فلا بد أنه الآن في طريقه إلى إنبابة .

(تدخل نفيسة المرادية كالمتسللة ومعها جارية لها).

المقدم : هيا بنا يا رجال لن يفلت من أيدينا . سنفتش عنه حتى نجده .

نفيسة : من هو ؟

(ينظر رجال مراد إليها مبهوتين)

المقدم : مولاتنا الست نفيسة !

نفيسة : من هذا الذى تريدون القبض عليه ؟

المقدم : الشيخ سليمان الجوسقى .

نفيسة : أيها المجرمون إياكم أن تمسوه بسوء .

المقدم : مولانا مراد بك هو الذى أمرنا .

نفيسة : ارجعوا إلى مراد بك وقولوا له إننى نهيتكم عن تنفيذ أمره .

المقدم : لكن يامولاتى ..

نفيسة : نفذ ما أقول لك .

المقدم : سمعا يا مولاتى .

نفيسة : إياكم أن تعودوا إلى هذا البيت بأمر مراد بك أو بغير أمره ، وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم . اخرجوا يا سبة المماليك .

(يخرجون مدحورين) .

ناصحة : شكرا لك يا ست نفيسة .

نفيسة : أنت أم داود ؟

ناصحة : نعم .

نفيسة : على أى شىء تشكريننى يا أم داود ؟ أنا واللّه خجلانة من أعمال زوجى وأعمال زبانيته .

ناصحة : ليس هذا ذنبك يا ست نفيسة .

الجوسقى : **(يدخل)** مرحبا بك يا ست نفيسة .. شرفت بيتنا .

نفيسة : أنا لا استحق أن ترحب بى يا شيخ سليمان . أنا استحق أن تطردنى .

الجوسقى : معاذ اللّه . أنت أنقذتنى من هؤلاء الزبانية . اجلسى يا ست نفيسة يا زين السيدات .

نفيسة : اعفنى يا شيخ سليمان . ليس هذا وقت الزيارة . ولابد لى أن أعود إلى البيت لأودع مراد بك قبل أن يخرج إلى الميدان .

الجوسقى : كما تحبين يا ست نفيسة .

نفيسة : غير أن لى حاجة أستحى من ذكرها بعد هذا الذى فعله مراد .

الجوسقى : أرجو ألا تكون وديعة تريدين منى أن أحفظها لك .

نفيسة : بل هى ما ذكرت .

الجوسقى : لقد رفضت مثل ذلك من إبراهيم بك ومن مراد بك وغيرهما .

نفيسة : لكنك لن ترفض مني يا شيخ سليمان، إنني أنفق على بيوت لا عائل لها فى المدينة وعلى يتامى وأرامل، وأخشى أن يدخل هؤلاء الغزاة فيستولوا على أموالى كلها فلا أجد ما أنفقه على هؤلاء . وما كان ينبغى أن أذكر هذا ولكن ماذا أصنع .؟ لعلك تصغى لى وتستجيب لطلبى إذا علمت الباعث على ذلك .

الجوسقى : أجل يا ست نفيسة . أنت لست منهم . أنت شىء آخر .

نفيسة : بل أنا منهم غير أنى تربيت فى بلدكم وكان سيدى وزوجى الأول على بك الكبير يريد أن يستقل ببلادكم عن الأتراك ويجعلها دولة مستقلة . ولولا خيانة مملوكه محمد بك أبو الذهب لربما أصبحت البلاد فى حالة أخرى اليوم .

الجوسقى : صدقت يا ست نفيسة هذا حق .

نفيسة : ولكن مراد بك وحش صغير . طالما نصحته فلم ينتصح . ماذا أصنع ؟ أنا أمرأة لا حول لى ولا قوة **(تبكى)** .

الجوسقى : كلا لا تبكى يا سيدتى . أنت على العين والرأس . هاتى كل ما عندك من النفائس . احفظها لك .

نفيسة : إنى تركت ذلك فى البيت حتى استأذن أولا .

الجوسقى : حبا وكرامة يا سيدتى . **(ينادى)** غانم . زيان، شمونى ، دملوجى .

الأربعة : نعم يا مولانا الشيخ (**يظهرون أمامه**) .

الجوسقى : اذهبوا مع الست نفيسة وخذوا ما تعطيه لكم فاحفظوه أمانة عندكم .

الأربعة : سمعا يا مولانا الشيخ .

نفيسة : شكرا يا شيخ سليمان (**تخرج وجاريتها ويخرج خلفهما الأربعة**) .

الجوسقى : (**يدنو من الباب الثالث**) يا أيوب بك . تعال يا أيوب بك .

أيوب : (**يدخل**) خرجت الست نفيسة ؟

الجوسقى : نعم .

أيوب : سيدة عظيمة لا يستحقها هذا المراد الحقير .

ناصحة : كيف قبلت يا أيوب بك أن تتزوجه بعد على بك الكبير ؟

أيوب : محمد بك أبو الذهب هو الذى أكرهها على الزواج به .

ناصحة : ورضخت لأمره ولم تمتنع ؟

أيوب : ليس لها أن تمتنع ففي شرعتنا نحن المماليك أصبح محمد بك ولى أمرها منذ تغلب على على بك الكبير (**يتنهد**) آه شرعته ظالمة .. كلها ظلم فى ظلم .

الجوسقى : ناصحة . هل لك أن تتركينا وحدنا ؟

ناصحة : حبا وكرامة يا سيدنا الشيخ (**تنسحب**) .

الجوسقى : خبرنى يا أيوب بك ما هو الأمر الذى تريد أن تفضى به إلى ؟

أيوب : هذه وصيتى أعهد بها إليك (**يناوله طومارا كبيرا**) .

الجوسقى : وصيتك ؟

أيوب : كتبتها اليوم وجعلتك أنت الوصى . لقد قررت يا شيخ سليمان أن أخرج اليوم لقتال الفرنسيس .

الجوسقى : والاتفاق الذى بيننا ؟

أيوب : لا أستطيع أن أعمل به .

الجوسقى : لقد كنت تؤيد رأينا يا أيوب بك .

أيوب : وما زلت أؤيده ولكنى من المماليك يا شيخ سليمان والمماليك جنود البلاد فعليهم أن يخرجوا لقتال من يغزو البلاد .

الجوسقى : أنت هنا يا أيوب بك . عواطفك معنا .. مع الشعب .

أيوب : نعم نعم ولكن لا حق لى أن ألوم المماليك على تقصيرهم فى قتال الغزاة وأتأخر أنا عن قتالهم .

الجوسقى : إنك لا تتأخر عن تكاسل أو تثاقل وإنما عن خطة مرسومة لتستأنف معنا قتالهم بعد أن يفصل اللّه بينهم وبين المماليك .

أيوب : لقد استخرت اللّه يا شيخ سليمان البارحة واستحممت اليوم وتطهرت لألقى اللّه وأنا نظيف طاهر .

الجوسقى : (**تتحادر دموعه**) طوبى لك يا أيوب بك .

أيوب : إنك لتبكى يا شيخ سليمان . وما رأيتك تبكى من قبل قط .

الجوسقى : أنت صديقى الوحيد يا أيوب بك ولست أدرى كيف يطيب لى العيش من بعدك .

أيوب : العيش عيش الآخرة يا شيخ سليمان ، إن فرقتنا الدنيا فستجمعنا الآخرة إن شاء اللّٰه .

الجوسقى : الآخرة داران يا أيوب بك لادارة واحدة ، أليس فى نيتك أن تواصل الجهاد ؟!

الجوسقى : الجهاد !

أيوب : جهاد هؤلاء الفرنسيس المعتدين ؟

الجوسقى : إن شاء اللّٰه .

أيوب : فأحسن نيتك وأخلصها للّٰه يدخلك اللّٰه الجنة .

الجوسقى : والذنوب التى اقترفتها ومارستها طوال أربعين سنة ؟

أيوب : باب التوبة مفتوح أمامك يا شيخ سليمان

الجوسقى : التوبة ؟

أيوب : وباب الشهادة كذلك . (**يعانقه مودعا**) أستودعك اللّٰه يا شيخ سليمان .

الجوسقى : أستودعك اللّٰه حافظ الودائع . (**يخرج أيوب**)

الجوسقى : (**يتمتم وحده فى استغراق وذهول**) التوبة ؟ الشهادة ؟ الشهادة ؟ الشهادة ؟

(**ستار**)

(الفصل الثانى)



فى بيت محمد الألفى بك الذى اتخذه نابليون مسكنا له بالأزبكية .

السلاملك الذى اتخذه مكتبا له يستقبل فيه رجاله وضيوفه ويصرف فيه أمور الحكم وعن يمينه ممر فى الحديقة يصله بالبيت الذى لا يظهر على المسرح غير جانب صغير منه .

الوقت : أول الصباح .

(يرفع الستار عن نابليون جالسا إلى مكتبه كأنه يكتب رسالة وكلما كتب شيئا مزقه كأنه يبحث عن الأسلوب الملائم) .

(يظهر فى الممر جاكليا وفرانسواز آتيتين من ناحية البيت ماشيين على أصابع قدميهما كأنهما تتهيبان الدنو من السلاملك . يلمحهما نابلون من حيث لا تريانه) .

فرنسواز : ترى ماذا يصنع هناك وحده ؟.

جاكلين : يكتب إليها رسالة لا شك .

فرنسواز : إلى جوزفين ؟

جاكلين : إلى من غيرها .. ؟

(ينهض نابليون مسرعا فيختفى ثم يظهر من شباك قريب من موقفهما فى الممر فيقف هناك دون أن تلحظاه) .

فرنسواز : وهو يعلم أنها تخونه مع عشاقها فى باريس ؟.

جاكلين : عسى أن يشعرها دائما بوجوده فتمتنع عن خيانته .

فرنسواز : وبينها وبينه هذا البحر الكبير ؟

جاكلين : حتى هذا البحر لم يعد لنا مسلك فيه منذ تحطم أسطولنا فى كارثة أبو قير .

فرنسواز : صحيح . أصبحت فى أمان تام .

جاكلين : هو فى الشرق وهى فى الغرب .

فرنسواز : لو كان رجلا ذا كرامة لطلقها ولوجد له خيرا منها .

جاكلين : خبرينى يا فرنسواز هل رأيت جوزفين هذه ؟

فرنسواز : لا لم تسعد عينى برؤيتها وأنت ؟

جاكلين : ولا أنا ؟.

فرنسواز : لكن لم هذا السؤال يا جاكلين ؟.

جاكلين : أريد أن أعرف شقراء هى أم سمراء .

فرنسواز : أغلب الظن أنها من الشقر .

جاكلين : ولم لا تكون من السمر ؟

فرنسواز : إنما هذه أمنيتك أن تكون سمراء مثلك .

جاكلين : أمنيتى ؟

فرنسواز : نعم .. عسى أن يميل إليك .

جاكلين : يا مسكينة . أتظنين أن الرجال يعشقون شبيهات زوجاتهم ؟.

فرنسواز : غالبا .

جاكلين : أنت لا تفهمين شيئا يا فرنسواز .

فرنسواز : بل أنت التى لا تفهمين يا جاكلين .

جاكلين : إنهم يفضلون المذاق المختلف ..

فرنسواز : هذا حينما تكون زوجاتهم معهم ، لا صفات بهم .

جاكلين : وأين زوجته الآن !

فرنسواز : فى باريس أو ربما فى ميلانو ، من يدرى !

جاكلين : فكيف يهملنا نحن معا . إن كانت شقراء فكيف يهملك ؟ وإن كانت سمراء فكيف يهملنى ؟.

فرنسواز : صدقت ، يبدو أنه لا أرب له لا فى السمر ولا فى الشقر . (**ضحك**) .

جاكلين : علام إذن يمسكنا عنده فى البيت ؟.

فرنسواز : لنكون منصفين ، هو لا يمسكنا يا جاكلين .

جاكلين : لكن يسره ويبهجه أن نقيم عنده ويؤلمه أن نتركه .

فرنسواز : هذا حق . لعله يحب أن يكون له حريم كعادة الشرقيين .

جاكلين : لكن الشرقيين يا فرنسواز لا يهملون حريمهم ! (**ضحك**) ثم إن هذا كان حاله من قبل أن يعرف الشرق والشرقيين فقد بلغنى أن الجميلات أقبلن عليه بعد انتصاراته فى شمال إيطاليا فكان يحب الجلوس اليهن والحديث معهن .

فرنسواز : فقط ؟.

جاكلين : فقط . ولما سئل فى ذلك أجاب بأنه لو انساق مع أولئك الفاتنات لما استطاع أن يحرز أى انتصار أو ينجز أى عمل .

فرنسواز : ربما كان على حق يا جاكلين .

جاكلين : هذا نقص فيه . انظرى يوليوس قيصر ، كان أكبر فاتح فى التاريخ وكان أكبر زير نساء .

فرنسواز : ظن يا جاكلين إن من واجبنا الآن أن نتركه قبل أن يعلم أزواجنا فيظنوا بنا الظنون ونحن أبرياء ؟

جاكلين : أما زوجى فقد علم !.

فرنسواز : علم ؟.

جاكلين : نعم .

فرنسواز : ولم يفعل شيئا ؟.

جاكلين : اليوم فقط أدركنا لماذا لم يفعل شيئا . لقد كان ضابط اتصال لبونابرته فى معاركه بإيطاليا فلعله عرف حقيقة صاحبه فاطمأن ! (**ضحك**) .

(يختفى ظل نابليون من الشباك ثم يتنحنح ويظهر فى الممر) .

نابليون : **(يتقدم إلى المرأتين فى بشاشة وطلاقة كأنه ما سمع شيئا مما قالتاه)** فوانسواز! جاكلين !بونجور !

المراتان : بونجور . سيدى القائد .

نابليون : أى جمال وأى رقة وأى دماثة وأى حيرة بين السمرة

والشقرة !.

جاكلين : شكرا سيدنا القائد .

فرنسواز : ما أظرفك .

نابليون : رباه إلى متى أنا محروم من هذه المتع ؟ (**يجذب يد جاكلين إليه**) آه لو أنال كل ما أشتهيه !

جاكلين : كل ما تشتهيه يا سيدى القائد (**ترتمى عليه فى استسلام**) .

نابليون : (**يقصيها عنه فى لطف**) معذرة يا سيدتى أنا لا أحب المعارك التى تكسب بسهولة .

فرنسواز : أنا يا سيدى القائد صعبة المنال (**تدنو منه**) .

نابليون : أنت يا فرانسواز ؟ أنت خضعت قبل أن أبسط يدى إليك . انصرفى إلى بيتك فزوجك اليوم قادم من رشيد وزوجك أيضا يا جاكلين ، مع السلامة .

(يصعد إلى مكتبه ويتركها مبهوتتين) .

(تنسحب المرأتان فى خطى ثقيلة ناحية البيت) .

(ينظر نابليون فى الرسالة التى كتبها آنفا فيتغير وجهه ويمزق الرسالة تمزيقا شديدا ويرميها فى السلة ثم يصلح هندامه ويمسح وجهه بمنديله ويقرع الجرس) .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : نعم يا سيدى القائد .

نابليون : قل للمسيو بوسيلج يدخل .

نابليون : قل للمسيو بوسيلج يدخل .

(يخرج الحاجب ثم يدخل بوسيلج . شاب فى الرابعة والثلاثين يبدو عليه حكمة الشيوخ) .

بوسيلج : بونجور سيدى القائد .

نابليون : بونجور مسيو بوسيلج ، معذرة أن أخرتك قليلا .

بوسيلج : ليس لمثلى أن يحاسبك على أى حال . أنت معذور .

نابليون : كلا أنت أهم رجل فينا اليوم . أهم حتى منى أنا .

بوسيلج : أنت رئيسنا وقائدنا يا سيدى القائد .

نابليون : حياتنا جميعا فى يدك ومستقبلنا أيضا فى هذه البلاد .

بوسيلج : تجلد يا سيدى ولا تبتئس .

نابليون : هل آنست منى أى ضعف أو تضعضع .؟.

بوسيلج : لا يا سيدى .

نابليون : صارحنى . أريد الصراحة .

بوسيلج : فى صوتك يا سيدى .

نابليون : ماذا فى صوتى ؟.

بوسيلج : رنة بكاء .

نابليون : لأنى أحبك يا بوسيلج وأثق بك . هل سمعت خطبتى فى الجنود مساء أمس ؟.

بوسيلج : نعم كنت هناك .

نابليون : كيف كان صوتى ؟.

بوسيلج : قـويا يـجلجل كالرعد . كصوتك فى معركة الأهرام حين قلت : أيها الجنـود تقدموا إن أربعين قرنـا مـن الزمان تنظر إليكم من فوق قمم هذه الأهرام .

نابليون : شتان بين الموقفين يا بوسيلج .

بوسيلج : لكن صوتك لم يتغـير . كـان فـى نفـس القـوة وأنـت تقول : حقا إن الخطاب جليل ولكن كان يكون أجل وأفدح لو أن نلسون عثر بأسطولنا ونحن قـادمون إلى مصر فأغرقنا فى البحر . أما الآن فنحن حكـام هـذه البلاد ولدينا الجنود والذخائر والخيرات والأموال .

نابليون : (**مسرورا**) إنك لتحفظها .

بوسيلج : (**مكمـلا**) فلنرفع رؤوسنا أيهـا الجنـود البواسـل ولنصعـد علـى الموجـة هـازئين بـالعواصف والزعـازع فربما قدر لنا أن نغير صحيفـة هـذا الشرق وأن نضـع أسماءنا بجانب الأسماء التى خلدها التاريخ ؟

نابليون : كلام يا بوسيلج ما أسهل الكلام !.

بوسيلج : ما كـان ليكـون بهـذه القـوة لـو لم يكـن صـادرا مـن قلبك .

نابليون : من قلبى ؟ يا ليتهم تركوا لى قلبى و لم يسحقوه !

بوسيلج : أجل يا سيدى ، إنهم سفلة !

نابليون : من هم ؟.

بوسيلج : رجال حكومة الديركتوار .

نابليون : فهمت من كلامى أننى أعنيهم !.

بوسيلج : نعم .

نابليون : ولم يخطر ببالك غيرهم ؟.

بوسيلج : لا .

نابليون : (**يتنفس الصعداء**) الحمد للّه .. إذ عرفنهم . إنهم يحسدوننى ويبغضوننى وأحب ما يحبون أن أبيد أنا ومن معى فى هذه البلاد .

بوسيلج : كلا يا سيدى لن ننيلهم ما يبتغون . (**بلهجة الخطيب كما كان من قبل**) إن كانت الظروف قضت علينا أن نبقى هنا وأن نقوم بأعمال عظيمة فلنقم بها . وإن كانت البحار التى لا سيادة لنا فيها قد فصلت بيننا وبين وطننا فإنه لا توجد بحار تفصلنا عن أفريقيا وآسيا !

نابليون : (**مسرورا**) برافو . برافو . تذكر يا مسيو بوسيلج أن عليك مهمة أخرى غير ترديد هذا الكلام .

بوسيلج : اطمئن يا سيدى . إنما أردد كلامك هذا لأستمد منه قوة على العمل .

نابليون : فلتجتنى أوربا كلها فأنا كفيل بخياناتها ما دمت أنت معى .. والآن ماذا عندك ؟

بوسيلج : فكرت فى السياسة المالية الجديدة التى علينا أن نتبعها بعد كارثة أبو قير .

نابليون : ووضعت تقريرا عنها ؟.

بوسيلج : شرعت فيه ولم أتمه بعد .

نابليون : صادفتك مشكلة ؟.

بوسيلج : المشكلة الكبرى كيف نبتز المال من المصريين دون أن نغضبهم .

نابليون : (**يضحك**) نبتز ؟ كلمة مضحكة !.

بوسيلج : لكن دقيقة .

نابليون : ماذا لو استعملت كلمة نختلس ؟.

بوسيلج : هذه استعملناها فى مدلول آخر يا سيدى .

نابليون : استعملتها فعلا ؟.

بوسيلج : نعم .

نابليون : فى التقرير ؟.

بوسيلج : نعم .

نابليون : (**مازحا**) ما كنت أعلم أن لى ملكة لا بأس بها فى الشئون الاقتصادية .

بوسيلج : العبقرية يا سيدى .. العبقرية المتكاملة .

نابليون : لكن أشرح لى فى أى مدلول استعملت كلمة نختلس ؟.

بوسيلج : فى باب الضرائب والرسوم التى ناخذها منهم دون أن يشعروا بها .

نابليون : وكلمة نبتز ؟.

بوسيلج : فيما لا مناص من أن يشعروا به حين نأخذها منهم .

نابليون : إذن فاقتصر على باب الاختلاس .

بوسيلج : لا يكفى وحده يا سيدى . لا بد أن نضيف إليه باب الابتزاز .

نابليون : لكن ذلك سغضبهم .

بوسيلج : أنت عليك يا سيدى الباقى.

نابليون : آجل . ما رأيك يا بوسيلج لو أسلمنا ؟.

بوسيلج : (**مدهوشا**) أسلمنا ؟.

نابليون : أعلنا أننا مسلمون . دخلنا فى دين الإسلام .

بوسيلج : لكن يا سيدى ..

نابليون : حكومة الديركتوار ؟ لتذهب حكومة الديركتوار إلى الجحيم . سيعتبرنا هؤلاء المسلمون إخوانا لهم من أول يوم وسأكون أنا السلطان الكبير .

بوسيلج : ومبادئ ثورتنا الكبرى ؟

نابليون : الحرية والمساواة والإخاء ؟

بوسيلج : نعم .

نابليون : هذه فى الإسلام قد جاء بها منذ اثنى عشر قرنا .

بوسيلج : أحقا ؟.

نابليون : فى صورة إنسانية أكمل وأعظم .

بوسيلج : لكنا لا نرى لها أثرا فى هؤلاء المسلمين .

نابليون : أفسدها عليهم الدخلاء وتقادم بها العهد فانطمست معالمها ولكنها موجودة هناك فى القرآن وفى سيرة محمد وسيرة أصحابه تنتظر من يجلو منها الصدا فإذا هى تلمع من جديد !.

بوسيلج : يا سيدى ما أحسبك جادا فيما تقول .

نابليون : بلى . ماذا يمنع ؟.

بوسيلج : يا سيدى نحن ما جئنا لنحرر هـذه البلاد أو نجـدد مـا درس من دينها وثقافتها بل لنجعلها مستعمرة فرنسية تكون لبنة فى عظمة فرنسا وشوكة فـى حلق إنجلـترا عدوتنا اللدود .

نابليون : أجـل . أجـل لئـن عشـت يـا صديقـى ونهضـت مـن كبوتى هذه فلـن يهـدأ لى بـال أو يقـر لى قـرار حتـى أنتقم من نلسون وأحطم إنجلترا تحطيما .

بوسيلج : الآن اطمأنت نفسى . أن فرنسا لا تستطيع أن تستغنى عن قائدها المظفر بونابرت .

نابليون : سنكتفى إذن بمشاركتهم فى احتفـالاتهم الدينيـة تحببـا إليهم وتعاطفا معهم .

بوسيلج : هـذا جميـل يـا سيدى القـائد . دعنـى أجـرح وأنـت تداوى وتمسح . دع الكراهية لى وخذ أنت الحب.

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : رجل أعمى يا سيدى زعم أنك قابلته فـى قصـر مـراد بك فى الجيزة قبل دخولك القاهرة ..

نابليون : **(كأنه يحاول أن يتذكر)** .. سليمان الجوسقى ؟.

الحاجب : نعم هذا اسمه يا سيدى .

بوسيلج : رجل أعمى ؟.

نابليون : رجل عجيب . ما رأيت أذكى منه .

بوسيلج : خذ حذرك منه لعله ..

نابليون : كلا لا خوف منه . دعه يدخل .

بوسيلج : فتشه أولا قبل أن تدخله .

نابليون : لا بأس .. فتشه بلطف .

الحاجب : سمعا يا سيدى .

بوسيلج : ماذا عساه يريد ؟.

نابليون : أنا كنت أريده . جاء فى الوقت المناسب .

بوسيلج : أنت يا سيدى الرجل العجيب .

(يدخل الحاجب ومعه الجوسقى).

الجوسقى : **(يتحسس طريقه)** أرنى أين اجلس أمام سارى عسكر .

نابليون : أجلسه هناك . فى ذلك المقعد **(يشير إلى مقعد أمامه)** !.

الجوسقى : الآن اهتديت إلى طريقى **(يسير وحده إلى حيث جلس فى المقعد دون أن ينتظر إرشاد الحاجب)** .

نابليون : عجبا .. كأنك غير كفيف .

الجوسقى : سمعى هو الذى هدانى .

نابليون : سمعك ؟.

الجوسقى : وصوتك .

(يتبادل نابليون وبوسيلج النظرات متعجبين) .

نابليون : هل أعوانك العميان كلهم مثلك .

الجوسقى : بل يتفاوتون كما يتفاوت المبصرون . قل لجليسك يتركنا وحدنا يا سارى عسكر ؟.

نابليون : كيف عرفت ؟.

الجوسقى : من صوتك . كنت تكلمنى وأنت تنظر إليه .

نابليون : ماذا يضيرك من بقائه ؟.

الجوسقى : جئتك وحدى لأ كلمك وحدك .

بوسيلج : (**ينهض**) أورفوار مسيو لو جنرال .

الجوسقى : أورفوار مسيو !.

نابليون : وتعرف لغتنا ؟.

الجوسقى : قليلا .. من مخالطتى للتجار الأجانب .

(ينظر إليه بوسيلج مدهوشا ثم يخرج) .

نابليون : نحن الآن وحدنا يا شيخ جوسقى .

الجوسقى : (**بلهجة آمرة ولكن طبيعية كلهجة الأب حين يأمر ابنه**) اذن منى يا سارى عسكر ، لأكلمك من قريب .

نابليون : (**يدنو منه مطيعا ولكنه سرعان ما يتراجع إلى مكانه الأول كأنه شعر بالمهانة إذ أطاع أمره**) بل أنت ادن منى ..

الجوسقى : (**يقترب منه**) أمرك . أنا فى بيتك . هل فكرت فيما اقترحته عليك من قبل ؟.

نابليون : تكوين جيش من الشعب ؟.

الجوسقى : نعم .

نابليون : (**يضحك**) يا شيخ جوسقى هـذا الشعب لا يصلح للقتال .

الجوسقى : (**فى حدة**) من قال لك ؟ إنك تردد كلام المماليك والأتراك .

نابليون : ألم تر إلى ما اعترى أهل القاهرة من الفزع والوهل حتى هربوا منها بمتاعهم وأولادهم قبل أن ندخلها فتخطفهم اللصوص فى الطريق ؟

الجوسقى : يا سيدى لم يكن ذلك عن جبن ولكن عن جهل بحقيقة الحال وقلة نظام وسوء تدبير وعدم وجود قيادة واعية . لقد خرجوا من بيوتهم جماعات جماعات لا سلاح لها ولا نظام فانضموا إلى جيش إبراهيم بك فى بولاق فلما دارت الدائرة على جيش مراد وهرب مراد هرب كذلك إبراهيم بك فاضطرب هؤلاء وانتشر فيهم الذعر فلم يلو أحد على أحد فكان ما كان .

نابليون : أنا على أى حال قد أفدت من اقتراحك فانشأت لكم ثلاثة فيالق .

الجوسقى : لعلك تعنى فيلق عمر القلقجى ، وفيلق نقولا الرومى ، وفيلق الجنرال يعقوب؟.

نابليون : نعم .

الجوسقى : يا سيدى هؤلاء أبغض إلى الشعب من جيشك الفرنسى . إنك بتكوينها كمن لا يرضى أن يصفع الشعب بيده فصفعه بمداسه !.

نابليون : ألانهم أجانب ؟.

الجوسقى : بل لأنهم خونة .

نابليون : خونة ؟.

الجوسقى : الجنرال يعقوب ليس أجنبيا ولكنه خائن . وأنت ورجال جيشك أجانب ولكن لستم خونة . أنا قلت لك يا سيدى : جند من الفلاحين ومن العربان .

نابليون : هؤلاء هم الذين قاومونا وقاتلونا فى طريقنا من الإسكندرية

الجوسقى : وما زالوا حتى اليوم يقاومونكم فى الأقاليم .

نابليون : فكيف أعتمد على هؤلاء ؟.

الجوسقى : إذا كسبت قلوبهم كسبت كل شىء .

نابليون : وكيف أكسب قلوبهم ؟.

الجوسقى : إذا اقتنعوا أنك تريد حقا أن تحررهم من ظلم المماليك .

نابليون : وكيف يقتنعون بذلك ؟.

الجوسقى : إذا رأوك تطمئن إليهم فتنشىء منهم جيشا ليحل محل جيش المماليك .

نابليون : ما يضمن لى أنهم لا يسيئون بى الظن إن أردت أن أجندهم ؟.

الجوسقى : أنا كفيل لك بذلك فإن لى معرفة برؤسائهم وزعمائهم ومن يأتمرون بأمرهم فى كل بلدة وكل قرية وكل كفر سواء فى الوجه البحرى أو فى الصعيدفسأجعلهم يعاونونك فيما تريد .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : بريد يا سيدى القائد من الجنرال فوجيير والجنرال زايونشك **(يسلمه رسائل وينسحب)** .

نابليون : **(يتصفحها فيتغير وجهه)** أنت هنا تدعو لتكوين جيش من الفلاحين يا شيخ جوسقى وها هم الفلاحون يقومون بثورة كبيرة هناك .

الجوسقى : فى غمرين وتتا ؟.

نابليون : كيف عرفت ؟.

الجوسقى : من أعوانى . وهى التى دفعتنى اليوم للمجىء إليك .

نابليون : ماذا نقلوا لك ؟.

الجوسقى : أن النساء أشتركن فى الثورة وأن عدد القتلى من الأهالى يزيد على أربعمائة وأنكم أضرمتم النار فى القريتين .

نابليون : كأنما كنت أنت الذى دبرتها !.

الجوسقى : أتمزح يا سارى عسكر ؟ أهذا وقت المزاح ؟ إنى إنما ألح عليك بإنشاء جيش الشعب لئلا يقع مثل هذا الذى وقع . إنهم يكرهون المماليك ولكنهم يظنونكم شرا من المماليك فقد أخذتم السلاح من أيديهم وصادرتم الخيل التى معهم لتعطوها لجنودكم .

نابليون : لا مناص من ذلك لحفظ الأمن والنظام .

الجوسقى : جيش الشعب لو أنشأتموه لحفظ لكم الأمن والنظام دون أن تثيروا الناس عليكم .

نابليون : (**بعد فترة صمت**) والصعيد أتعرف ما يجرى فيه أيضا ؟.

الجوسقى : نعم . بلغنى أنكم أرسلتم إلى مراد بك من فاوضه فى الصلح وعرض عليه أن يكون له إقليم جرجا إلى أسوان وأن مراد بك رفض .

نابليون : كلا لقد قررنا أن نرسل حملة كبيرة بقيادة الجنرال ديزيه لمحاربته والقضاء عليه .

الجوسقى : لقد أخطأتم مرتين مرة حين فاوضتموه ومرة حين قررتم أن تحاربوه .

نابليون : ماذا تقول ؟

الجوسقى : فى الأولى أثبتم للشعب أنكم غير صادقين فيما زعمتم أنكم جئتم للقضاء على المماليك وتحرير البلاد منهم .

نابليون : وفى الثانية ؟.

الجوسقى : ستجعلون من مراد بك بطلا فى الصعيد وتدفعون الأهالى إلى التمسك بالمماليك والقتال معهم ضد الفرنسيس .

نابليون : أفنترك مراد بك يصول ويجول هناك ؟.

الجوسقى : أنشىء جيش الشعب فى الصعيد أيضا وأنا كفيل لك بألا يمضى زمن طويل حتى يقاد إليك مراد بك أسيرا ذليلا كالكلب .

نابليون : جيش الشعب . جيش الشعب . خبرنى يا شيخ جوسقى ما حقيقة قصدك ؟.

الجوسقى : عجبا ألم تفهم قصدى بعد يا سارى عسكر ؟ إنى لا أريد أن يحكمنا المماليك والأتراك من جديد .

نابليون : كلا لن يعودوا إلى حكمكم أبدا ما دام جيشنا فى البلاد .

الجوسقى : ليس لنا أن نعتمد عليكم فى كل وقت فربما تدعوكم حكومتهم للدفاع عن فرنسا ذاتها ضد الدول المعادية لها فى أوربا ولا سيما إنجلترا فماذا يكون حالنا حينئذاك ؟ سيعود المماليك إلينا لا محالة ومن خلفهم الأتراك .

نابليون : (**بعد صمت قصير**) قد كان لاقتراحك هذا محل لولا كارثة أبو قير .

الجوسقى : بالعكس يا سيدى أنتم أحوج إليه اليوم منكم أمس .

نابليون : كيف ؟.

الجوسقى : أغلب الظن أن الإنجليز بعد ما حطموا أسطولكم هنا سوف يتفقون مع الأتراك على غزو مصر لطردكم منها .

نابليون : دعهم يأتوا فلأهزمنهم شر هزيمة .

الجوسقى : ما لم تنشىء جيش الشعب فإنى أخشى أن ينضم شعبنا إلى الأتراك فيقاتلوكم معهم فى كل مكان .

نابليون : وإذا أنشاناه ؟.

الجوسقى : فسيقاتلون الأتراك معكم بلا ريب لأنهم حين يذوقون لذة الحرية لا يمكن أن يعودوا إلى العبودية .

نابليون : (**بعد فترة صمت**) إن كلامك منطقى جميل ولكن ربما سيكون موقفهم منا مثل موقفهم من الأتراك .

الجوسقى : كلا سيحفظون لك ما عاشوا هذا الجميل .. أنك أنشأت لهم جيشا منهم وليس ذلك بالقليل لأن المماليك والأتراك كانوا يأبون عليهم ذلك .

نابليون : أعطنى فرصة أخرى للتفكير .

الجوسقى : كما تحب : وماذا عن السيد محمد كريم ؟.

نابليون : (**يلوح الغضب فى وجهه**) ما شأنك به . هل تعرفه ؟.

الجوسقى : ومن ذا لا يعرف السيد محمد كريم ؟.

نابليون : إياك أن تتشفع له فلن أقبل فيه أى شفاعة .

الجوسقى : إذن فدعنى أحاول إقناعه بدفع الفدية .

نابليون : ما أحسبك تنجح فقد ركب رأسه ورفض .

الجوسقى : أعطنى الفرصة فلعلى أنجح .

نابليون : (**يضرب الجرس فيدخل الحاجب**) دعهم يحضروا السيد محمد كريم هنا . أسرع .

الحاجب : حالا يا سيدى القائد (**يخرج**) .

الجوسقى : أنا لا أحب لك أن تقتله يا سارى عسكر .

نابليون : حتى لا أهيج خواطر الناس ؟

الجوسقى : نعم .

نابليون : قد حكم عليه بالإعدام فخففته أنا إلى الفدية ، فعليه أن يدفعها إذا شاء ألا يعدم .

الجوسقى : ستة وثلاثون ألف ريال كثيرة عليه .

نابليون : بل قليلة بالنسبة إلى جرمه وإلى غناه .

(يدخل الحاجب ومعه السيد محمد كريم وفى يديه القيد) .

نابليون : الشيخ سليمان الجوسقى طلب أن يراك فأجبته إلى طلبه .

كريم : إن كان يريد أن يقنعنى بدفع الفدية فليوفر على نفسه التعب .

الجوسقى : اتركنى وحدى معه إذا تفضلت يا سارى عسكر .

(يخرج نابليون ويصفق الباب وراءه)

(يدنو كريم من الجوسقى فيتكلمان بصوت خافض)

كريم : ماذا جاء يا شيخ سليمان ؟.

الجوسقى : ألا تحب أن ترانى ؟.

كريم : بلى .

الجوسقى : فلماذا أجبته ذلك الجواب الخشن ؟.

كريم : لئلا يرتاب فى حسن نيتك .

الجوسقى : أحقا أن سفينة من سفنكم ساعدت الأسطول الإنجليزى فى معركة أبو قير ؟.

كريم : نعم والرجل يعتقد أن لى يدا فى ذلك وهذا سر حقده على .

الجوسقى : لكن المعركة لم تدر إلا وأنت مقبوض عليك .

كريم : هو يعتقد أننى كنت الموجه .

الجوسقى : وهل كنت أنت الموجه ؟.

كريم : نعم .

الجوسقى : أتستعين على عدونا بعدو آخر ؟.

كريم : ما المانع ؟.

الجوسقى : ألا تخشى أن يحتلنا الإنكليز ؟.

كريم : لقد ضربنا الأتراك بالمماليك وضربنا المماليك بالفرنسيس وسنضرب الإنجليز إن جاءوا بـ لا يدرى إلا الله من . حتى يتكون لنا جيش الشعب فيتم على يديه الخلاص .

الجوسقى : صدقت . صدقت . آه لو استطعنا أن نقنع هذا الرجل بتكوين هذا الجيش .

كريم : هو أذكى من ذلك . إنه يدرك ما فى ذلك من خطر عليه .

الجوسقى : ربما كان يقبل لو لم يتحطم أسطوله .

كريم : كلا ما كان ليقبل أبدا .

الجوسقى : آه لو قبل إذن لسارت حركتنا فى طريق مأمون .

كريم : لا أنكر أنها خطة حكيمة لو انطلت على هذا الرجل ولكنها لن تنطلى عليه فلا تتعب نفسك .

الجوسقى : والآن يا سيد محمد ألا تبقى لنا على نفسك ؟.

كريم : تريد منى أن أدفع الفدية ؟.

الجوسقى : إن كنت قادرا ، وإن لم تقدر فدعنا ندفع عنك .

كريم : كلا لا آذن لأحد أن يدفع عنى .

الجوسقى : ولا لى أنا ؟.

كريم : ولا لك أنت . ينبغى أن يعلم هذا الرجل أن فى بلادنا من يقول لا بملء فيه .

الجوسقى : لكنا سنفتقدك يا سيد محمد .

كريم : فيك وفى أصحابنا البركة وقد وجدت لك رجلا يحل محلى فاتصلوا به .

الجوسقى : من يكون !.

كريم : السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد وكبير أغنيائها .

الجوسقى : أنا لاأومن بهذا الطراز من الناس .

كريم : كلا إنه يختلف عن الأعيان الذين تعرفهم . رجل كله إخلاص وشهامة . إنه خير منى يا شيخ سليمان .

الجوسقى : سوف نتصل به إن شاء الله ولكنا لا نستغنى عنك يا سيد محمد .

كريم : يا أخى ينبغى أن يعزيكم عنى أن مقتلى هذا .سيكون منشورا إلى الشعب أبلغ وأقوى من المنشورات التى يدبجها الشيخ المهدى لهذا الطاغية، والآن قل لهم إنك انتهيت منى .

الجوسقى : دعنا نستأنس قليلا بعد .

كريم : حتى لا يرتابوا منك ..

الجوسقى : أما من خدمة فنؤديها لك ؟.

كريم : أهلى وعيالى تسأل عنهم ، (**يقرع الجرس**) .

(**يدخل نابليون والحاجب**) .

نابليون : فرغت يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : نعم .

نابليون : قَبلَ أن يدفع الفدية ؟.

الجوسقى : لا .

نابليون : (**للحاجب**) خذه معك . أعده إلى مكانه .

(**يخرج محمد كريم مع الحاجب دون كلام وهو رافع الرأس شامخ الأنف**) .

الجوسقى : آسف يا سيدى . ظننت أننى أستطيع أن أؤثر عليه .

نابليون : ألم أقل لك ؟ لقد حكم على نفسه بنفسه .

الجوسقى : (**ينهض لينصرف**) ائذن لى يا سيدى ..

نابليون : أورفوار .

الجوسقى : أورفوار . فكر فى مشروع الجيش يا سارى عسكر .

(**يخرج**) .

(**نابليون يقرع الجرس فيدخل الحاجب**)

نابليون : أين السيدة نفيسة المرادية ؟.

الحاجب : موجودة يا سيدى فى حجرة الانتظار .

نابليون : قل لها تدخل .

(يخرج الحاجب ثم تدخل نفيسه المرادية) .

نابليون : (**ينهض لها مرحبا**) مرحبا بالسيدة الكبرى .

نفيسه : كان هذا فيما مضى يا سارى عسكر الفرنسيس .

نابليون : بل على الدوام يا سيدتى . مكانتك عندنا دائما محفوظة . تفضلى .

نفيسه : (**تجلس**) أتدرى لماذا أحضرت إليك يا سارى عسكر ؟ لأرد إليكم هذه الهدية التى أهدتها إلى حكومة فرنسا من قبل (**تخرج ساعة ذهبية من بين ثيابها فتلقيها على مكتبه**).

نابليون : الساعة الذهبية الفريدة . هذه هدية لا ينبغى أن ترد .

نفيسه : دعهم يقوموها وأحسب ثمنها من الضريبة التى فرضتموها علىّ .

نابليون : لكن هذه تكرمة لك من الحكومة الفرنسية لا يصح أن تتخلى عنها .

نفيسه : أصبحت لا أراها اليوم تكرمة لى .

نابليون : حدثينى يا سيدتى ماذا أثار غضبك إلى هذا الحد ؟.

نفيسه : كل ما عملتموه معى يثير الغضب والاشمئزاز .

نابليون : أفصحى عما تريدين .

نفيسه : أبعث بخاتم مرصع بالجواهر إلى أوجين بوهارنيه أين زوجك على أثر مأدبة أقمتها لكم فى بيتى فإذا جزائى أن قيل لى : ما دام عندك مثل هذه الجواهر فأنت قادرة على أن تدفعى أكثر .

نابليون : الأوغاد السفلة ! كلا يا سيدتى سأنظر أنا فى هذا الأمر ولن تدفعى أكثر من الذى عليك .

نفيسه : وهذا الذى فرضتموة علىّ ألا تراه أكثر مما أطيق ؟.

نابليون : أنه ليس عليك وحدك بل وعلى نساء المماليك اللآتى آويتهن فى دارك .

نفيسه : أتدرى لماذا آويتهن فى دارى ؟.

نابليون : هذا أمر يخصك .

نفيسه : لأن هؤلاء النساء قد فرضت عليهن مبالغ كبيرة وهن لا يملكن شيئا فخشين من رجالك أن يسوقوهن ويفضحوهن فلجأن إلى بيتى للحماية .

نابليون : وأين أموال أزواجهن ؟.

نفيسه : ما يدريهن أين أموالهم إن كانت لهم أموال . ابحثوا عنها أنتم وفتشوا بيوتهم كما تحبون ولكن لا تتعرضوا للنساء البريئات .

نابليون : كل من تدفع الغرامة التى عليها فليس لأحد عليها سبيل .

نفيسه : وبأى حق تأخذون هذه الغرامات من هؤلاء النسوة ؟.

نابليون : يفتدين بها أنفسهن .

نفيسه : ألم يشملهن الأمان الذى أعلنته لأهل القاهرة يوم دخلتها ؟.

نابليون : نساء المماليك لا يدخلن فى هذا الأمان .

نفيسه : فلماذا لم تعلن ذلك فى نص الأمان ؟.

نابليون : ما كنا نعلم أنهن موجودات فى القاهرة .

نفيسه : يا بونابرته هذه بربرية لا يرتكبها إلا المتوحشون ، تعرفون خوفهن على شرفهن فساومتموهن عليه .

نابليون : ماذا نصنع ؟ السبيل الوحيد لا ستخراج ما عليهن .

نفيسه : أترضى يا بونابرته أن يفعل ذلك بجوزفين زوجتك ؟.

نابليون : إذا لم تدفع ما عليها فذنبها على جنبها .

نفيسه : معذرة نسيت أنكم فى بلادكم لا تبالون كثيرا بهذه الأمور ،وأن الرجل منكم لا بأس عنده أن تخرج امرأته مع صديقها وتسافر إلى أى بلد ! .

نابليون : (**يتغير وجهه ويحاول أن يتجلد**) من قال لك ذلك ؟.

نفيسه : قال لى الذى قال لى .؟ أيعنيك أن تعرفه ؟

نابليون : لا . إلا إذا شئت أن تذكريه فلا بأس .

نفيسه : لا داعى إلى ذلك .

نابليون : من الفرنسيس هو ؟.

نفيسه : نعم .. من رجالك .

نابليون : (**يتحمل جهدا كبيرا لإخفاء ما فى نفسه وفى تكلف الضحك**) لا تصدقيهم هؤلاء الأوغاد يحب بعضهم أن يخوضوا فى أعراض بعض .

نفيسه : (**مناورة لتكشف سره**) كلا أنهم ما كانوا يذكرون حالة خاصة لأحد .

نابليون : (**يسرى عنه**) ها .. كانوا يتكلمون بصفة عامة ؟.

نفيسه : نعم .

نابليون : هذا صحيح . العادات هناك تختلف عن العادات هنا بغير جدال . لكن حدثيني يا سيدتي وأصدقيني . هل تحبين مراد بك وتحترمينه ؟.

نفيسه : هو زوجي على كل حال .

نابليون : أجيبي على سؤالي . هل تحبينه وتحترمينه ؟

نفيسه : نعم كنت أحبه واحترمه لو أنه بقي في الميدان يقاتلكم حتى قتل .

نابليون : إذن فأنت لا تحبينه ولا تحترمينه ؟.

نفيسه : الجبان لا يستحق عندى الحب ولا الاحترام .

نابليون : إذن فلا بأس عندك أن تخونيه ؟.

نفيسه : (**مجفلة**) أخونه ؟ أخونه فيماذا ؟.

نابليون : في نفسك .

نفيسه : إني أذن أخون نفسي وشرفي وأنا لا أرضى ذلك ! ماذا تحسبني يا بونابرته ؟ أتحسبني مثل .. ؟

نابليون : (**مقاطعا**) معذرة أن أغضبك هذا السؤال فما أردت إغضابك .

نفيسه : ماذا أردت إذن من سؤالك هذا يا سارى عسكر ؟.

نابليون : لا شيء يا سيدتي .. مجرد سؤال .

(تبتسم نفيسة كأنها تقول له قد كشفتك ويتضاءل نابليون خجلا فينهض واقفا بصورة ميكانيكيا ليدارى ما في نفسه ويقرع الجرس فيدخل الحاجب) .

الحاجب : نعم يا سيدى القائد .

نابليون : قل لهم يوصلوا السيدة نفيسة المرادية إلى بيتها فى عربتى الخاصة . يا سيدتى سأنظر فى أمرك ولن ترى بعد اليوم ما تكرهين . (**ينحنى لها احتراما وهو يودعها**) .

نفيسه : ونساء المماليك ؟

نابليون : سأنظر فى أمرهن جميعا.

نفيسه : وعد شرف ؟.

نابليون : وعد شرف . (**يلمح الساعة الذهبية على مكتبه**) ساعتك الذهبية خذيها معك .

نفيسه : كلا ما جئت بها لآخذها مرة أخرى . اجعل قيمتها من أصل الذى على .

نابليون : إذن فسآمر بها أن تباع لك فى مزاد عام .

نفيسه : خيرا تصنع (**تخرج مع الحاجب**) .

نابليون : (**يتمتم وحده وهو فى كرب شديد**) أواه . حتى مراد بك الجبان الذى فر من الميدان أسعد حظا منى أنا فاتح بلاد الطليان وقاهر المماليك . أواه ما أهون معارك الحرب فى جنب معارك القلب . لا بأس بباراس فهو رجل كبير المقام وقد عرفها قبلى وعرفتها بعده . ولكن شارل .. شارل .. شارل ذلك الحيوان التافه الخسيس الذى لا يساوى كعب حذائى

كيف ترضى به مكانى ؟ جوزفين . جوزفين . ما أشقانى بك يا جوزفين . فى يوم النصر جاءتنى أنباء خزيك . يا ليتها كانت أنباء نعيك . جوزفين ! جوزفين !.

(يظهر أوجين بوهارتيه على الباب كالمتردد فى الدخول) .

(يلمحه نابليون فيتغير وجهه ويتجلد ويمسح عينيه بمنديله) .

بوهارنيه : سيدى القائد .

نابليون : **(يثور ثورة عاتية ويلطمه فى وجهه)** أنت أيضا ! ماذا جاء بك ؟.

بوهارنية : **(يحمر وجهه ويحاول أن يتجلد)** مهمة رسمية يا سيدى القائد .

نابليون : دون أن تقرع الباب ؟ .

بوهارنيه : قرعته يا سيدى القائد .

نابليون : **(كالنادم)** ما هى المهمة ؟.

بوهارنيه : الجنرال ديزيه على أهبة السير إلى الصعيد . يريد أن يودعك .

نابليون : **(يرفع صوته بصورة غير طبيعية كأنه يريد أن يخفى ما فى نفسه) .**

أين هو ؟ أدخل يا جنرال ديزيه .

(يدخل ديزيه فيتبادل معه التحية العسكرية) .

نابليون : متى السير ؟.

ديزيه : الآن يا سيدى القائد .

نابليون : كل شيء على ما يرام ؟.

ديزيه : نعم .

نابليون : حظا سعيدا يا صديقى الجنرال . إلى الصعيد مع النصر .

ديزيه : شكرا يا سيدى القائد (**يؤدى التحية العسكرية ثم يخرج**) .

نابليون : (**ينظر إلى بوهارنيه**) اقض على الخونة يا جنرال ديزيه . حطم وكر الخيانة ! فى كل مكان .. فى كل مكان .

(ستار)



(الفصل الثالث)

المنظر : في بيت الشيخ سليمان الجوسقى .
نفس المنظر كما فى الفصل الأول .
الوقت :
أول الصباح .

حين يرفع الستار نرى الجوسقى يدخل من الباب الثالث وخلفه زعماء الأقاليم حسن طوبار وابن شعير وعلى العديسى وعبد الرحمن أباظة وسليمان الشواربى وهم يمسحون كأنهم قاموا من طعام كما فعلوا فى الفصل الأول ..

طوبار : خبرنى يا شيخ سليمان ماذا وضعتم فى هذا الفول المدمس ؟.

الجوسقى : أعجبك ؟

ابن شعير : أعجبنا كلنا .

طوبار : كدنا نأكل أصابعنا وراءه .

الجوسقى : صنعة لا نفشى سرها لأحد .

أباظة : لا تنس أنكم أخذتموها عنا يا شيخ سليمان .

العديسى : هذا غير معقول .

أباظة : اسألوه .. قل لهم يا شيخ سليمان .

الجوسقى : نعم .. أخذناها عن آل أباظة فى الشرقية .

مراد : كلا لن نؤمن يا عبد الرحمن حتى نذوقه عندك .

أباظه : أهلا وسهلا .. تفضلوا .

الحقيقة أن كل شيء فى مائدة اليوم كان ممتازا .. البيض المقلى والجبن والزيتون والحلاوة والعسل والمربى ..

ابن شعير : صحيح .. ليس الفول المدمس وحده .

الجوسقى : الحمد لله إذ أعجبكم فطورنا اليوم .

طوبار : (ممازجا) يبدو لى يا شيخ سليمان أن طعامك اليوم فى عهد الفرنسيس ، أشهى وأدسم من طعامك من قبل .

ابن شعير : هذا صحيح .

طوبار : ترى ما السبب ؟ حذار أن يكونوا يعاملونك معاملة خاصة .

العديسى : مثل السيد خليل البكرى والشيخ محمد المهدى .

الجوسقى : لا والله يا إخوانى لقد عاملونى مثل غيرى من الناس .

طوبار : فرضوا على بيتك شيئا ؟

الجوسقى : على بيوتى كلها . اعتبروها من النوع الأعلى .. ثمانية فرانسة على كل بيت .

طوبار : كان ينبغى أن يعفوك ولا سيما بعد ما قابلت

زعيمهم بونابرته .

الجوسقى : كلا . لم يستثنوا أحدا من الوجهاء هذه المرة .
أحسن . ليعم السخط فى الجميع .

العديسى : ولا السيد خليل البكرى ؟.

الجوسقى : دع هذا على جنب . هذا أصبح خليل بونابرته .
(يتضاحكون جميعا ما عدا سليمان الشواربى) .

طوبار : يا شيخ شواربى ألا تشاركنا فى الضحك .

ابن شعير : كما شاركتنا فى الطعام ! **(يضحكون) .**

طوبار : استرح قليلا من فتل شواربك ؟

العديسى : دعوه يا جماعة لعله يخشى أن يخرجوه من شجرة العيلة !
(يتضاحكون) .

الجوسقى : لا بد أنه يتبسم الآن .

ابن شعير : أبدا ما زال يفتل شاربه !.

طوبار : يا أخى نقطنا بكلامك .

الشواربى : يقولون نقطنا بسكاتك ولا يقولون نقطنا بكلامك .

طوبار : حين قالوا ذلك ما كانوا يعرفون أن فى الدنيا رجلا مقطوع اللسان مثلك .

الشواربى : إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

طوبار : يا أخى أعطنا من فضتك وخذ الذهب كله لك .

الشواربى : أراكم تتبادلون النكات كأنما فرغتم من مشاغلكم وهمومكم .

طوبار : بل نستعين على همومنا بهذه النكات .

الشواربى : هذا يخالف المنهج الذى تسير عليه .

طوبار : ماذا تعنى ؟

الشواربى : كنا نستعين على حكامنا الظلمة بالنكتة إذ كانت سلاحنا الوحيد . أما اليوم ..

طوبار : ما زال الوضع كما كان . عدد قليل جدا هم الذين تدربوا على حمل السلاح . أما البقية ففى حاجة بعد إلى سلاح النكتة .

الجوسقى : ولم لا نجمع بين السلاحين معا ؟ كلاهما مصدر قوة لنا . هذا يعيننا على احتمال الظلم والاستبداد وهذا يدفعنا إلى الثورة على الظلم والاستبداد .

الشواربى : لا نريد أن نحتمل .. نريد أن نثور .

الجوسقى : بل لا بد لنا من قوة الصبر والاحتمال إذا كنا نريد أن ننجح فى الثورة .

(يدخل عبد القادر من العميان)

عبد القادر : السيد حسن كريت يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : قل له يتفضل . (**ينهض له**) أهلا وسهلا تفضل يا سيد حسن .

كريت : (**يدخل**) السلام عليكم .

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله .

(يصافحهم واحدا واحدا ثم يجلس بينهم) .

الجوسقى : كنا فى انتظارك يا سيد حسن من الصبح .

كريت : اعذرونى أيها الإخوة فقد أصر صاحبى الذى نزلت

كريت : اعذرونى أيها الإخوة فقد أصر صاحبى الذى نزلت عنده على أن يفطرنى .

الجوسقى : كان الواجب أن تفطر عندى هنا مع بقية الإخوة .

كريت : فى المرة القادمة إن شاء الله .

طوبار : من يعلم يا سيدنا ماذا يحدث لنا فى الشهر القادم .

كريت : خير إن شاء الله .

الجوسقى : الفاتحة إلى روح أخينا الشهيد محمد كريم .

(يتلون الفاتحة) .

الجوسقى : رحمة الله عليه . لقد كان فى وسعه أن يعيش لو أراد ولكنه ضرب لنا المثل .

طوبار : وأشعل نيران السخط فى نفوس الجماهير .

الجوسقى : لقد قال لى ونحن فى دار بونابرته . يا أخى ينبغى أن يعيزكم عنى أن مقتلى هذا سيكون منشورا إلى الشعب أبلغ وأقوى من المنشورات التى يدبجها الشيخ المهدى لهذا الطاغية .

كريت : والله لقد فاز وبقى علينا نحن أن نقوم بواجبنا نحو هذه الأمة المنكوبة . هل رأيتم أيها الإخوة كيف أصبحت القاهرة ؟

طوبار : تجولت فيها أمس فلم أكد أعرفها . رأيت نساء مسلمات كاشفات الوجوه يتجولن فى الطرقات مع الجنود الفرنسيس .

الجوسقى : هؤلاء من جوارى المماليك وسراريهم اتخذوهن

خليلات .

طوبار : غدا ينتشر هذا الداء فى الحرائر الأخريات ؟

أباظة : لا ريب فى ذلك . عندهم المال الوفير والجاه والنفوذ .

الجوسقى : والاستقرار . لقد أوهموا هؤلاء النسوة أنهم باقون إلى الأبد فخلعن العذار ولم يخفن من أحد .

طوبار : والمساجد التى هدموها وأجروا فيها الطرق .

الجوسقى : والبوابات التى أزالوها من الحارات ليسهل عليهم إخماد الثورة إذا قامت .

العديسى : لقد توقعوا هم الثورة واستعدوا لها وأنتم لم تفكروا فيها بعد .

الجوسقى : بلى يا عديسى قد كونا لجنة للثورة وجعلنا مقرها فى الجامع الأزهر .

العديسى : ولماذا الجامع الأزهر ؟

الجوسقى : لأن نواة اللجنة من علماء الأزهر وطلابه وليسهل على غيرهم من الأعضاء من مختلف المهن والصناعات أن يترددوا على المكان دون أن يثيروا ارتياب أحد .

طوبار : وأنت رئيسها يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : رئيسها الشيخ السادات .

الجميع : (**فى شبه استنكار**) الشيخ السادات .. ألم تجدوا غيره ؟.

الجوسقى : لو وجدنا إماما مثل الشيخ محمد الحفنى لكان هو

رئيس اللجنة ولكنا لا نجد مثل هذا الطراز اليوم وما بقى إلا شيوخ الوقت فاخترنا السادات فهو أصلحهم وقد رفض عضوية الديوان .

الشواربى : لكن الفرنسيس يزورونه ويأكلون فى بيته .

الجوسقى : يزورونه بما له من جاه بين الناس وعلى أى حال فهو رئيسها بالاسم فقط لا بالفعل .

الجميع : كيف ؟

الجوسقى : أمام الناس فقط لنجمعهم عليه إذ لا يجتمعون إلا على رجل كبير المقام ذى وجاهة وشرف .

طوبار : ورضى هو بذلك ؟

الجوسقى : ما أخذنا رأيه . لقد جعلناه رئيس لجنة الثورة دون علمه .

الجميع : دون علمه ؟

الجوسقى : أجل .

العديسى : ربما ينكركم ويثور عليكم إذا علم .

الجوسقى : كلا لن يفعل . سيخاف من الفرنسيس إذا اعترف وسيخاف من العامة إذا أنكر .

طوبار : وضعتموه إذن بين شقى الرحى ؟

الجوسقى : نعم .

طوبار : وكم عدد أعضائها اليوم ؟

الجوسقى : تسعون رجلا .

الجميع : تسعون فقط ؟

الجوسقى : هؤلاء الأعضاء أما الأتباع فبالمئات فى كل حى وفى كل حارة .

العديسى : إذن فماذا تنتظرون ؟ لقد سبقناكم فى المنصورة فاستأصلنا جنود حاميتها وكانوا أكثر من مائة وخمسين فى يوم واحد .

كريت : معذرة أيها الإخوة ألم يكن من الحكمة أن لو كانت ثورات الأقاليم وثورة القاهرة فى وقت واحد ؟.

الجوسقى : كان ذلك فيما رسمناه بيننا ولكن على العديسى ومصطفى الأمير اضطرا إلى التعجيل .

كريت : ماذا اضطرهما إلى ذلك ؟

العديسى : حامية الفرنسيس أنفسهم فقد بلغنا أنهم علموا بالتدريبات التى كنا نجريها ليلا فى سندوب فاعتزموا أن يبيتونا فسبقناهم .

ابن شعير : وهربتما أنتما وتركتما الأهالى يصلون عذاب الفرنسيس .

العديسى : ماذا نصنع ؟ لو لم نهرب لذبحونا ذبح الخراف ولما استطعنا أن نقاتلهم فى بلاد البحر الصغير مع الشيخ حسن طوبار .

طوبار : أجل لقد كانا عونا لى فى المعارك التى دارت بيننا وبين الفرنسيس على طول البحر الصغير . كانا هما الظاهرين وكنت أنا الضمير المستتر .

العديسى : كان الشيخ حسن طوبار مثل أولى الخطوة من الأولياء ينتقل بين بلاد البحر الصغير يحرض الأهالى على الثورة وبين بحيرة المنزلة يجمع مواكبه لمهاجمة دمياط .

طوبار : بس . يا عديسى اسكت . لا تفش أسرارنا يا رجل .

العديسى : ليس فينا غريب .

طوبار : تذكر عمر القلقجي .

الجميع : لعنة اللّه عليه .

ابن شعير : ولعنة اللاعنين . لقد لطخ اسم تونس والمغرب كله .

الجوسقى : كنا نظن أنه سيحمل رسالة الكفاح المشترك إذا رجع إلى بلده تونس فإذا هو يخوننا فى بلدنا ويخون العرب والمسلمين .

أباظة : لست أدرى كيف وثقتم بمثل هذا الخائن .

الجوسقى : ما كان يخطر ببالنا قط أنه سينسلخ من دينه وقوميته فيؤلف جيشا من أبناء جنسه المقيمين فى مصر ليسخرهم فى خدمة الفرنسيس ضد البلد الذى آواه وهو طريد وأظله وهو شريد .

طوبار : المصيبة أنه سرق الفكرة منا فى إنشاء جيش الشعب فأنشأ على غرارها فيلقه اللعين .

ابن شعير : والطامة الكبرى أننى دعوته فأقام ضيفا عندى فى كفر عشما واطلع على أسرارنا ومخابئنا وحضر معى تدريب رجالتا خارج البلد .

الجوسقى : الحمد لله إذ لحق بخدمة الفرنسيس قبل تكوين لجنة الثورة فى القاهرة وإلا لاطلع على أسرارها فنقلها إلى بونابرته .

العديسى : يا شيخ سليمان ألا ترى أن قدرا كبيرا من التبعة يقع عليك أنت ؟

الجوسقى : قلت لكم إن الخيانة التى ارتكبها عمر القلقجى كانت أكبر من أن تخطر لى أو لغيرى على بال .

العديسى : لست أعنى أمر هذا الخائن بل أعنى مفاتحتك بونابرته فى إنشاء جيش الشعب .

الجوسقى : أنا لم أستبد فى ذلك برأيى فقد وافقتمونى على ذلك .

العديسى : لكنها كانت فكرتك ودفعتنا دفعا إلى الموافقة عليها بذلاقة لسانك وقوة عارضتك .

الجوسقى : إنى مازلت حتى الآن أراها خطة حكيمة لتحرير شعبنا من الأتراك والمماليك والفرنسيس جميعا وممن يأتى بعدهم من الغزاة .

العديسى : لكنها لم تحقق لنا هذه النتيجة بل كشفت عوراتنا لبونابرته فجعل يتتبع حركاتنا فى الأقاليم فيقضى عليها واحدة بعد واحدة ؟

الجوسقى : القلقجى اللعين هو السبب . ولولاه لكان أحد أمرين فإما أن يقتنع بونابرته فينشىء لنا جيش الشعب لننقض به على الفرنسيس فى النهاية وإما ألا يقتنع

فيكون ما سمعه مني تغطية لحركاتنا في مختلف الأقاليم حتى إذا علم بها ظنها موجهة ضد المماليك لا ضد الفرنسيس .

طوبار : لنتعظ بما حدث يا إخواني فلا نفضي بأسرارنا لكل من نثق به .

(يدخل عبد القادر) .

عبد القادر : السيد بدر الدين المقدسي يا مولانا الشيخ .

أباظة : انتظر يا شيخ سليمان .

(يتهامس الحاضرون فيما بينهم) .

الجوسقي : كلا يا إخواني هذا طراز آخر . هذا عضو بارز في لجنة الثورة .

العديسي : إذن فماذا تخافون منه ؟ إن كان ممن يخشى أن يخون فلابد أنه قد خانكم .

طوبار : أين النقيب . أنا أعرفه جيدا . من أسرة كريت في الشام .

الجوسقي : قل له يدخل يا عبد القادر .

(يدخل بدر الدين المقدسي) .

بدر : السلام عليكم .

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله .

بدر : ماذا جرى يا شيخ سليمان ؟

الجوسقي : يا سيد بدر كنا في سيرة الخائن عمر القلقجي .

بدر : فخشيتم أن أكون مثله ؟

الجوسقى : نعم هذا ما حدث .

طوبار : لا تلمنا يا سيد بدر . من باب الاحتياط .

بدر : لا لوم عليكم . بعد الذى وقع من ذلك الخائن . لقد جئت الآن لأخبركم أنه سيسير بفيلقه اليوم إلى كفر عشا .

ابن شعير : من هو ؟.

بدر : عمر القلقجى .

ابن شعير : إلى كفر عشا ؟

بدر : نعم ليعاون الجنرال لانوس فى القضاء .. على زعيمها ابن شعير .

ابن شعير : يا أخى أنا ابن شعير .

بدر : أنت ؟.

ابن شعير : وممن سمعت هذا ؟

بدر : من صاحب لى ثقة .

ابن شعير : من هو ؟

الجوسقى : واحد من رجال القلقجى اتخذه السيد بدر عينا عليه .

ابن شعير : آه لو أمضى إليه الآن فاقتله .

بدر : لن تستطيع . عليه حرس شديد .

الجوسقى : لقد حاولنا اغتياله غير مرة فلم نوفق .

ابن شعير : ائذنوا لى يا إخوانى الآن . لا بد أن أسبقهم إلى البلد **(يتهيأ للخروج)** .

الجمع : امض يا أخى والله معك .

(يخرج ابن شعير منطلقا) .

(يدخل عبد القادر).

عبد القادر : الشيخ يوسف المصيلحى .

الجوسقى : منظم لجنة الثورة بالأزهر . قل له يدخل .

(يدخل يوسف المصيلحى) .

المصيلحى : السلام عليكم ورحمة الله .

الجمع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الجوسقى : هذا يا إخوانى الشيخ يوسف كاتب الشيخ المهدى وأمين سره .

الجميع : **(فى ارتياب)** الشيخ محمد المهدى ؟

الجوسقى : نعم .

المصيلحى : لم تحسن تقديمى يا شيخ سليمان . أنا يا إخوانى جاسوسكم على الشيخ المهدى .

الجميع : أهلا ومرحبا .

طوبار : مرحبا بالجاسوس الكريم .

(يضحكون) .

الجوسقى : حدثهم يا شيخ يوسف كيف تحتال على الشيخ المهدى وتستخرج منه الأخبار .

المصيلحى : **(يقوم بتمثيل دوره ودور الشيخ المهدى فى الحوا الذى بينهما)**من المؤكد يا شيخى الجليل أن بونابرت أصبح يحب خليل البكرى ويثق به أكثر منك.

المهدى : من قال لك ؟.

المصيلحى : كاتبه محمد الملا .

المهدى : كذاب .

المصيلحى : لكنه يا سيدنا الشيخ يحكى لى أشياء لا يعرفها إلا خواص خواص رجال بونابرته .

المهدى : **(يميل عمامته إلى الأمام قليلا ويهرش قفاه ويحرك رأسه فى زهو) .**

ادن منى يا شيخ يوسف . اسمع هذا السر . لا خليل البكرى ولا غيره .

(يتضاحكون متعجبين من قدرة المصيلحى على المحاكاة والتمثيل) .

المصيلحى : ألا تعرفنى بهم يا شيخ سليمان .

الجوسقى : **(يقدمهم)** سليمان الشواربى من القليوبية . عبد الرحمن أباظة من الشرقية . على العديسى من الدقهلية . حسن كريت من رشيد . حسن طوبار من المنزلة والبحر الصغير .

المصيلحى : **(يقول بعد كل اسم : تشرفنا)** أنت إذن السيد حسن طوبار . الحمد للّه إذ وجدتك .

طوبار : **(ممازحا)** ماذا يا شيخ يوسف ؟ أتريد أن تبلغ عنى صاحبك ليبلغ صاحبه بونابرته ؟

(يضحكون) .

طوبار : حذار فإن دماءهم لم تجف من سيوفنا بعد ولا جفت دماؤنا من سيوفهم حين تركت رجالى هناك وجئت إلى القاهرة لأحضر هذا المجلس ثم أعود .

المصيلحى : انطلق إذن إلى رجالك فإن بونابرته قد أصدر أمره بإرسال حملة كبيرة للقضاء عليك .

طوبار : كيف ؟ ألم تسمع شيئا عن خطته ؟

المصيلحى : تسير قوة من المنصورة برا وعلى البحر الصغير وتسير قوة أخرى بطريق البحيرة حتى تطبق القوتان على مدينة المنزلة من البر والبحر .

طوبار : الجنرال دوجا من المنصورة والجنرال أندربوسى من دمياط .

المصيلحى : أجل سمعت هذين الاسمين .

طوبار : (**ينهض ليخرج**) وداعا أيها الإخوة . يا شيخ سليمان عجلوا بثورة القاهرة . ليواجه الفرنسيس ثلاث ثورات فى وقت واحد .

المصيلحى : يا شيخ سليمان بونابرته قادم لزيارتك بعد قليل .

الجميع : بونابرته ..

المصيلحى : نعم . أرسلنى الشيخ المهدى لأخبر الشيخ سليمان .

الجميع : ماذا يريد ؟

الجوسقى : لعله يريد أن يساومنى . اخرجوا أيها الإخوة من الباب الخلفى . فإنى أخشى أن يأمر بتفتيش البيت .

كريت : ولكنا لم ننته بعد إلى شىء .

الجوسقى : عودوا إلينا بعد صلاة العشاء لنكمل الجلسة .

(يخرج الجميع من الباب الثانى يتقدمهم حسن طوبار) .

(ويبقى الشيخ المصيلحى مع الشيخ الجوسقى) .

عبد القادر : (**يظهر**) سارى عسكر الفرنسيس يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : أهلا ومرحبا بسارى عسكر الفرنسيس .

(يدخل نابليون ومعه الشيخ محمد المهدى) .

نابليون : كيف أنت يا شيخ سليمان فإنا لم نرك منذ ذلك اليوم ؟

الجوسقى : ولكنى كنت أراك يا سارى عسكر !

نابليون : كنت ترانى ؟

الجوسقى : دائما أمامى .

نابليون : (**يضطرب قليلا ولكن يتجلد**) أنت لا ترانى لا من أمامك ولا من خلفك .

الجوسقى : بل أراك حتى فى منامى .

نابليون : فى منامك ؟

الجوسقى : ومعك ثعبان كبير ودودة دقيقة .

نابليون : ثعبان ؟ ودودة ؟

الجوسقى : فأرسلتهما على نخلة عظيمة فالتف الثعبان حول جذعها فاضطربت النخلة وأصابها هلع شديد أنساها كل شىء وإذا صائح يصيح من السماء : أيتها النخلة

لا تخافى الثعبان وخافى الدودة . وكانت الدودة قد زحفت حتى بلغت أعلاها فأخذت تمتص لبابها فتدلت سعفة من النخلة ثم ارتفعت برأس الثعبان إلى حيث الدودة فالتهم الثعبان الدودة فنجت النخلة .

نابليون : أتريد أن تحاجينى بألغازك ؟

الجوسقى : ليس هذا لغزا بل رؤيا .

نابليون : وماذا تريد منى ؟

الجوسقى : أن تفسرها .

نابليون : أنا لا أفسر الأحلام . فسرها أنت .

الجوسقى : لعل الشيخ المهدى يستطيع تفسيرها .

المهدى : عندك كتاب ابن سيرين تعطير الأنام فى تعبير المنام ؟

الجوسقى : عندى ؟

المهدى : دعنى أولا أنظر فيه .

الجوسقى : قد راجعته فلم أجد فيه شيئا .

المهدى : راجعته ؟

الجوسقى : عندى عيون كثيرة تقرأ لى وتراجع .

المهدى : إذن فإنى سأفسرها لك باجتهادى يا سارى عسكر .

نابليون : هات .

المهدى : أنت الثعبان ؟

الجوسقى : أعوذ بالله .

المهدى : والدودة هى المماليك والنخلة هى مصر .

نابليون : ماذا ترى يا شيخ سليمان ؟

الجوسقي : النخلة هي مصر . هذا واضح كفلق الصبح ولكن لا يليق أن نجعلك ثعبانا . الثعبان هو جيشك .

المهدى : هذا ما كنت أعنيه .

الجوسقي : بين القولين فرق كبير .

نابليون : **(يخدج المهدى بنظرة عتب ثم يلتفت إلى الجوسقى)** والدودة ؟

الجوسقي : ليست هي المماليك لأنهم كانوا عندنا قبل أن تحضروا أنتم والرؤيا تقول: إنك جئت بالثعبان والدودة معك .

نابليون : فما الدودة إذن ؟.

الجوسقي : لا أدرى . سوف تفسرها الأيام .

نابليون : دعني من منامك وأوهامك . ما رأيك لو جعلناك سلطانا على مصر ؟

الجوسقي : وأنا أعمى ؟

نابليون : أنت فيهم المبصر الوحيد .

الجوسقي : أتسخر يا سارى عسكر ؟

نابليون : أنت تعلم أنى لست أسخر .

الجوسقي : لا سبيل إلى ذلك يا سارى عسكر ؟

نابليون : لماذا ؟

الجوسقي : هذا منصب أكبر مما تعطى وأصغر مما أريد .

نابليون : قلت لك لا تلغز .

الجوسقي : أنا لست ألغز .

نابليون : وضح .

الجوسقى : أكبر مما تعطى لأنه ليس من حقك . وأصغر مما أريد لأنى أريد المغفرة والجنة .

نابليون : لا تحاول أن تخدعنى عن حقيقتك فإنى قد عرفت كل شيء عنك : كيف جمعت مالك ولماذاجمعته وفيم تنفقه ؟

الجوسقى : كان ينبغى أن تعرف إذن إن هذا المنصب الذى عرضته على صار أبغض شيء إلى .

نابليون : منذ متى ؟

الجوسقى : منذ أتيتم إلى بلادنا .

نابليون : إنى سأعاونك على بلوغ ما تريد .

الجوسقى : وما هدفك من ذلك ؟

نابليون : ليسود فى بلادكم العدل والأمن والسلام .

الجوسقى : لو كنت تريد ذلك حقا لقبلت نصيحتى فأنشأت جيش الشعب .

نابليون : سوف أنشئه بعد ما تكون سلطانا .

الجوسقى : الجيش أولا ثم السلطان .

نابليون : بل السلطان أولا لنضمن ولاء الجيش . لقد لقينا متاعب من هذه الفرق التى تدربت فى الأقاليم وقامت بيننا وبينها معارك .

الجوسقى : هؤلاء كانوا يتدربون ضد المماليك فتصديت . أنت لقتالهم كأنما لتحمى المماليك من بطشهم .

نابليون : بل كانوا ضدنا نحن الفرنسيين بدليل أنهم ما كانوا يتدربون هكذا فى عهد المماليك .

الجوسقى : كانوا يمنعونهم من ذلك فلما جئتم أنتم وهرب المماليك انتهزوا هذه الفرصة فلو قمتم أنتم بإنشاء هذا الجيش لكان ولاؤه لكم ما لم تتفقوا مع المماليك عليهم .

المصيلحى : معذرة يا سارى عسكر ول شيخنا الشيخ المهدى سلطانا على مصر فهو أكفأ وأصلح من هذا الشيخ الأعمى .

نابليون : (**فى شيء من الغضب**) أنت أوعزت إليه يا شيخ مهدى ؟

المهدى : لا والله يا سارى عسكر . من تلقاء نفسه .

المصيلحى : لقد عز على يا سارى عسكر أن يرفض هذا الأعمى عرضك . السلطنة بحالها ! ياليتنى كنت أعمى !

(**يكاد نابليون يضحك لو لم يتماسك حفظا لكرامته وهيبته**) .

الجوسقى : يا شيخ مهدى . ألا تكف تابعك هذا عنى ؟

المهدى : يا شيخ مصيلحى أمسك لسانك .

المصيلحى : أنت أيضا يا شيخنا ترفض هذا المنصب .؟

المهدى : اسكت .

المصيلحى : يا سارى عسكر أتدرى ماذا اتضح لى اليوم ؟

نابليون : (**متوقعا أن يكتشف سرا جديدا**) هه ؟

المصيلحى : أنك أكرم الناس . لا نظير لك فى الملوك ولا فى الخلفاء . لم يسمع عن أحد منهم أنه جاد بمثل هذه المنحة لأحد . يا ليتنى كنت أعمى ؟

الجوسقى : (**يظهر الغضب**) أجئت عندى يا سارى عسكر لتشتمنى فى بيتى ؟

نابليون : (**غاضبا**) اخرج من هنا . انتظرنا خارج الدار .

المصيلحى : سمعا وطاعة يا سارى عسكر . (**يخرج**) .

نابليون : والآن يا شيخ سليمان غلام عولت ؟.

الجوسقى : أنشىء جيش الشعب أولا ثم ولنى ما تشاء

نابليون : لقد بلغني يا شيخ سليمان أنك أنت الذى تحرض الأقاليم علينا .

الجوسقى : وصدقت هذه الوشاية ؟

نابليون : ما صدقتها ولا كذبتها ولكن امتناعك عن التعاون معى يجعلنى أميل إلى تصديقها .

الجوسقى : يا سارى عسكر أريد أن أعاونك فيما ينفع لا فيما يضر .

المهدى : وهل تعرف ما ينفع وما يضر خيرا من سارى عسكر ؟

الجوسقى : نعم أنا أعرف ببلدى منه . وكان ينبغى عليك يا شيخ مهدى أن تنصحه لا أن نغشه .

المهدى : أنت الذى تريد أن تغشه .

الجوسقى : لو أردت أن أغشه لقبلت ما عرضه على لكى يثور الناس عليه ويقولوا ولى علينا سلطانا أعمى .

نابليون : وتريد مع ذلك أن أنشىء جيش الشعب لكى ينقلب علينا فى النهاية ؟

الجوسقى : معاذ اللّٰه يا سارى عسكر بل ليتوطد سلطانك فى البداية والنهاية . إنك ستكسب به قلوب الناس وتجعلهم يثقون بك ويطمئنون إليك فيلتفون حولك .

نابليون : (**يضيق ذرعا فينهض**) يا شيخ سليمان أنا غير راض عنك .

الجوسقى : فيم يا سارى عسكر ؟ من أجل إخلاصى لك ؟

نابليون : وسوف أحملك التبعة فى كل ما يحدث .

الجوسقى : فى بيتى هنا ؟

نابليون : فى كل مكان .

الجوسقى : أتمزح يا سارى عسكر ؟.

نابليون : أنت تعلم أننى لست أمزح .

الجوسقى : ماذا تعنى يا سارى عسكر ؟.

نابليون : أنت تعرف ما أعنى . هيا بنا يا شيخ مهدى .

الجوسقى : انتظر يا سارى عسكر .

نابليون : ماذا عندك ؟

الجوسقى : لا ينبغى أن تنصرف من عندى وأنت غاضب . سأريك ولى العهد .

نابليون : ابنك ؟

الجوسقى : نعم (**ينادى**) يا داود . داود .

داود : (**صوته**) نعم .

الجوسقى : تعال حى سارى عسكر الفرنسيس .

داود : (**صوته**) بونابرته ؟

الجوسقى : نعم .

(**يدخل داود**) .

داود : أين هو يا أبى ؟.

الجوسقى : هو ذا أمامك .

داود : الذى على رأسه العمامة ؟

الجوسقى : يا غبى . الذى ليس على رأسه عمامة .

داود : هذا الولد الصغير ؟

الجوسقى : (**يأخذ بأذنه فيقرصها**) يا ولد . هذا بونابرته الكبير .

داود : آى .. آى . أنت لا تراه يا أبى . إنه صغير . أنا أكبر منه .

الجوسقى : (**يلطمه**) فضحتنا يا كلب . ادخل عند أمك .

(**يخرج داود باكياً**) .

الجوسقى : معذرة يا سارى عسكر . إن كان هذا يصلح ولى عهد فأنا أصلح سلطانا على مصر .

(**يخرج نابليون عابسا دون أن ينبس ببنت شفة وخلفه الشيخ المهدى**) .

(**تدخل أم داود غاضبه**) .

أم داود : ما هذا الذى صنعت يا شيخ ؟

الجوسقى : ابنك فضحنا .

أم داود : ما كان ينبغى أن تدعوه .

الجوسقى : لكنه واللّه شفى نفسى .. أين هو ؟ ناديه

أم داود : هو يبكى هناك ماذا تريد منه بعد ؟

الجوسقى : سأصالحه . ناديه .

أم داود : **(تنادى)** داود . يا داود .

داود : **(يظهر من ناحية الباب الثالث فيومىء لأمه كأنه يقول لها : ماذا تريدين ؟)** ..

الجوسقى : **(يشعر بحضوره)** تعال ادن منى يا داود .

داود : لتضربنى مرة أخرى ؟

الجوسقى : بل لأكافئك . خذ هذا الدينار لك **(يلقى إليه بدينار)** .

داود : **(يلتقط الدينار وهو خائف أن يمكر به أبوه)** أنا قلت الصدق يا أبى فلم ضربتنى ؟

الجوسقى : **(ينقض عليه فيمسكه بين ذراعيه فى حنان)** لئلا يظن أننى أوعزت إليك بذلك فيغضب منى .

(يوسعه تقبيلا) .

داود : أنت الآن راض عنى ؟

الجوسقى : نعم يا داود كل الرضا .

(يتملص داود من أبيه وينطلق ليخرج) .

الجوسقى : إلى أين يا داود ؟

داود : إلى السوق .

أم داود : حذار أن يضحكوا عليك فى الدينار .

داود : أنا الذى سأضحك عليهم (يخرج) .

أم داود : تعال هنا يا سيدنا الشيخ كيف ترفض ماعرضه عليك ؟

الجوسقى : إنما أراد أن يستدرجنى يا ناصحة .

ناصحة : يستدرجك ؟

الجوسقى : حتى أسقط فى عيون الناس فينفضوا عنى إذا علموا أننى طامع فى منصب السلطنة .

ناصحة : لكنك كنت طامعا فى هذا المنصب وتعمل له منذ خمس وعشرين سنة فماذا كنت ستصنع ؟

الجوسقى : كنت سأنشىء جيش الشعب ، وأطرد المماليك من البلاد ،وأحرر الأمة من ظلمهم ،ثم أعلن نفسى سلطانا فلا يختلف فىّ اثنان .

ناصحة : لكن ذلك أصبح مستحيلا اليوم بعد مجىء الفرنسيس فلماذا لا تقبل ما يعرضه كبيرهم عليك ؟

الجوسقى : لا يا ناصحة . لا أقبل أبدا أن أكون خادما للفرنسيس خائنا للأمة .

ناصحة : انقلب عليهم بعد ذلك . بعد أن تكون سلطانا نافذ الكلمة .

الجوسقى : هيهات . يا ناصحة . من باع نفسه للشيطان لا يستردها منه أبدا .

ناصحة : وما عاقبة هذا الذى أنت فيه ؟ أما سمعته يهددك ويتوعدك ؟

الجوسقى : فكيف آمنه على نفسى بعد ذلك يا ناصحة ؟

ناصحة : إذا أرضيته وسايرته .

الجوسقى : إنه عرف حقيقتى يا ناصحة .

ناصحة : ولذلك أراد أن يصطنعك .

الجوسقى : ليقضى علىّ بعد أن أقضى له وطره .

ناصحة : ومصيرنا يا سيدنا الشيخ ألا تفكر فيه ؟

الجوسقى : المصير بيد اللّٰه يا ناصحة .

ناصحة : حتى الثروة التى جمعتها طول حياتك صرت تبددها هذه الأيام بغير حساب .

الجوسقى : فى سبيل اللّٰه يا ناصحة .. كفارة عما ارتكبت فى جمعها من ذنوب واغتلت من حقوق .

ناصحة : ما كان أغناك من ذاك العناء فى جمعها إن كان هذا هو المصير .

الجوسقى : للّٰه فى خلقه شئون والحمد للّٰه إذ جعل الخاتمة خيرا من الفاتحة ولم يجعل الفاتحة خيرا من الخاتمة .

ناصحة : وداود المسكين ماذا يكون مصيره ؟

الجوسقى : وسليمان بن داود أنسيته ؟ كم له الآن فى بطن أمه ؟

ناصحة : خمسة أشهر .

الجوسقى : هل يستطيع أحدنا أن يضمن عمره أربعة أشهر ليراه ؟

ناصحة : ولا ليلة واحدة .

الجوسقى : إذن فما أهون هذه الحياة الدنيا فى جنب الآخرة ؟

(يدخل عبد القادر ومعه سبعة نفر من العميان) .

عبد القادر : مولانا الشيخ .

الجوسقى : ما خطبكم ؟

عبد القادر : برطلمين الرومى وعصابته .

ناصحة : فرط الرمان ؟

عبد القادر : نعم ذلك الجلاد اللعين .

ناصحة : ماذا يريدون ؟

الجوسقى : ادخلى أنت يا ناصحة .

العميان : لا تخافى إن أرادوا شيخنا بسوء بطشنا بهم .

ناصحة : وليس فى أيديكم سلاح ؟

العميان : من غير سلاح (**تخرج ناصحة**) .

(يدخل برطلمين) .

برطلمين : الجنرال ديبوى المستحفظان .

الجوسقى : (**متجاهلا**) أنت المستحفظان ؟

برطلمين : (**فى عجرفة**) أنا فرط الرمان . المستحفظان قادم .

الجوسقى : أهلا به قل له يدخل .

برطلمين : قم أنت فاستقبله على الباب .

الجوسقى : أهو أكبر من سارى عسكر ؟

برطلمين : سارى عسكر فوق الجميع .

الجوسقى : فقد دخل عندى هنا و لم أستقبله على الباب .

برطلمين : لو كنت معه لألزمتك .

(يدخل الجنرال ديبوى)

ديبوى : سلام عليكم يا شيخ سليمان .

الجوسقى : جنرال ديبوى . أنت أمرت هذا الرومى أن يسىء الأدب معنا ؟.

ديبوى : لا يا شيخ سليمان لا ، نحن جئنا لنسألك فقط .

الجوسقى : أهلا وسهلا تفضلوا .

ديبوى : هل عندك سلاح فى البيت ؟

الجوسقى : لا يا جنرال ديبوى .

برطلمين : دعنا نفتش البيت يا سيدى الجنرال .

ديبوى : انتظر يا برتلمى .

برطلمين : لدينا معلومات مؤكدة أن عنده ترسانة من الأسلحة .

الجوسقى : فتش إن شئت يا جنرال ديبوى لترى مبلغ هذا الرومى من الصدق .

ديبوى : برتلمى .. اصرف رجالك الآن .

برطلمين : ليعاونونى فى تفتيش البيت .

ديبوى : كلا لا تفتيش .

(يشير برطلمين لرجاله فينصرفون) .

الجوسقى : **(بالفرنسية)** شكرا جزيلا يا جنرال .

ديبوى : أوه . لا شىء يا شيخ سليمان .

الجوسقى : اجلس إذا تكرمت .. قريبا منى .

ديبوى : بكل سرور (يجلس قريبا منه حيث يتناجيان)
(يتمشى برطلمين في القاعة كأنما عز عليه ألا يدعى إلى الجلوس معهما .
(العميان يتناجون فيما بينهم كأنهم يديرون أمرا وفجأة يتشاجر اثنان منهم ثم يتضاربان ثم ينضم إلى كل منهما فريق فيشتد العراك بين الفريقين) .
(يرى ديبوى كأنه يسأل ما الخطب فيومىء الجوسقي كأنه يقول له : هكذا هم دائما ويمضيان في حديثهما غير المسموع) .
(ينقض أحد العميان من أحد الفريقين على برطلمين فيدافعه بقوة إلى جانب الفريق الآخر فيدفعه الفريق الآخر إلى الفريق الأول وهكذا يتدافعه الفريقان ، كأنه كرة بين أيديهم . وهم يتضاربون ويتصارعون فيما بينهم ويتشاتمون وبرطلمين يتطوح بينهم هذا بلطمه وهذا بركلا برجله . وهذا يصفعه على قفاه وهذا يجلد به الأرض وهو يحاول جاهدا أن يخلص من بينهم دون جدوى وهو صامت كأنه يستحى أن يستغيث) .
(ينظر ديبوى نحوهم فيقهقه ضاحكا من منظر برطلمين بين العميان) .

الجوسقى : ما خطبك يا جنرال ديبوى . ماذا يضحك ؟

ديبوى : (**ماضيا فى القهقهة**) العميان !

الجوسقى : هذا دأبهم كل يوم يتضاربون ثم يتصافون .

ديبوى : برطلمين يتطوح بينهم !

الجوسقى : ما شأنه بهم ؟ قل له يا سيدى يتركهم وشأنهم ؟

ديبوى : برتلمى .. اخرج من بينهم . اتركهم وشأنهم .

برطلمين : (**يحمله أحد العميان بين ذراعيه**) أنقذنى يا جنرال ديبوى .

الأعمى : يا ملعون لا أحد ينقذك (**يجلد به الأرض**) .

ديبوى : إنهم سيقتلونه يا شيخ سليمان . صح فيهم ليكفوا .

الجوسقى : (**يصيح فيهم**) يا جماعة ! كفاية !

(**يكفون جميعا وينهض برطلمين وهو فى حالة سيئة يمسح التراب عن وجهه وثيابه**) .

ديبوى : (**يعود إلى القهقهة**) كيف حالك يا برتلمى ؟

برطلمين : (**عابسا**) أتضحك يا سيدى الجنرال ؟ أعجبك ما فعلوه بى ؟

ديبوى : ماذا خلطك بهم ؟ هلا تركتهم وشأنهم ؟

برطلمين : أنا لم أختلط بهم .هم الذين اختطفونى وخلطونى بهم .

ديبوى : (**يضحك**) ظنوك وحدًا منهم .

برطلمين : كلا . لا شك أنهم تعمدوا ذلك .

الجوسقى : ياحب الرمان . ألا تعلم أنهم عميان ؟

برطلمين : كلا بل يتظاهرون بالعمى وليسوا بعميان . لا بأس . سيرون منى يوما أسود .

ديبوى : **(ينهره)** برتلمى .

برطلمين : يا سيدى الجنرال لو فعلوا بك هذا أكنت تسكت لهم ! ولو سكت أنت فلن أسكت . أنا لا أدخل .

ديبوى : أنا لا أدخل فيما لا يعنينى .

برطلمين : **(فى حدة)** صدقنى .. أنا لم أفعل بهم شيئا .

الجوسقى : لعلك حاولت أن تحجز بينهم .

برطلمين : كلا .. لقد كنت واقفا فى مكانى .

ديبوى : كان عليك أن تبتعد عنهم .

الجوسقى : أنسيت أنهم عميان يا فرط الرمان ؟ (يلتفت إلى جماعة العميان) .

يا جماعة أرجوكم .. اعتذروا إلى فرط الرمان عما أصابه منكم عن غير قصد فهو ضيف عندنا ويجب أن يكرم على كل حال .

العميان : أمرك يا مولانا الشيخ . (**يتحلقون حول برطلمين فيعانقونه واحدا واحدا**) سامحنا يا فرط الرمان . المسامح كريم . نحن كما ترى عميان . محرومون من نور البصر ، والشجار الذى بيننا أعمانا زيادة . اللّٰه يلعن العمى ..

برطلمين : **(يتأفف منهم كأنه يستقذرهم ولا سيما إذا ضمه أحدهم طالبا منه الصفح)** .

كفاية .. سامحتكم .. سامحتكم .. كفاية .

العميان : كلا يجب أن نبوس رأسك . حقك علينا يا فرط الرمان .

برطلمين : كفاية .. كفاية ..

(يتضاحك ديبوى والجوسقى) .

(ستار)

الفصل الرابع



فى القلعة : قاعة كبيرة لها بابان أحدهما فى أقصى اليمين والآخر فى أقصى الشمال ، فى الصدر منصة وكرسيان :

الوقت : ضحى .

(يرفع الستار فنرى الجنرال بون على المنصة وإلى جانبه أسفل المنصة كاتب الجلسة وقد وقف برطلمين أمام الجنرال بون) .

بون : **(متضجرا)** لا فائدة .. لا فائدة .

برطلمين : قد قلت لك يا سيدى القومندان . مر بإعدامهم جملة واحدة وأرح نفسك . لا فائدة فى استجوابهم غير التعب والنصب .

بون : يا بارتلمى هكذا أمر القائد العام وعلينا أن نطيع أمره.

برطلمين : اختصر إذن فى الأسئلة .

بون : سأفعل .

برطلمين : **(ينادى)** هاتوا غيره !

(يساق أحد الثوار وفى يديه القيد حتى يقف أمام المنصة) .

بون : اسمك ؟

الرجل : جمعه عبد السميع .

بون : مهنتك ؟

الرجل : جزار .

بون : اشتركت فى الثورة ؟

الرجل : أنا عضو فى لجنتها .

بون : من زعيم الثورة ؟

الرجل : سر لا أبوح به .

بون : إن أخبرتنا أطلقنا سراحك وإلا أعدمناك .

الرجل : العمر واحد والرب واحد .

برطلمين : خذوه فأعدموه (**يخرجون به**) هاتوا غيره .

الحاجب : هذا القائد العام يا سيدى القومندان .

بون : أين هو ؟

الحاجب : صاعد إلينا .

بون : انتظروا إذن ، لا تدخلوا أحدا حتى يأمر القائد العام .

الحاجب : سمعا يا سيدى (**ينسحب**) .

برطلمين : (**يتطلع من الشباك ثم يقترب من بون**) أتدرى من معه ؟

بون : من !

برطلمين : (**بازدراء**) الجنرال يعقوب . يختال فى زيه الفرنسى كأنه واحد منكم .

بون : أليس خيرا من زيك هذا المضحك .

برطلمين : كان ينبغى أن تمنعوا هذا المصرى .

بون : لماذا ؟

برطلمين : الناس مقامات .

بون : صه . **(ينهض من مقعدة ليستقبل نابليون)**

(يدخل نابليون وخلفه الجنرال يعقوب فيتبادلون التحية) .

نابليون : أوشكتم أن تنتهوا ؟

بون : مازال أمامنا كثير .

نابليون : اهتديتم إلى زعيم الثورة ؟

بون : لا .. للساعة ؟.

نابليون : أحد اثنين . إما الجوسقى وإما السادات .لا ريب عندى فى ذلك .

بون : لكنا لم نستطيع أن نثبت على أحد منهما شيئا .

نابليون : ولا أى ظل من الشبهة .

بون : ولا أى ظل من الشبهة .

نابليون : تذكر يا جنرال بون أنك ترأس محكمة عسكرية .

بون : أجل يا سيدى القائد .. لقد استعملت منتهى الشدة والقسوة .

نابليون : ولا تنس أن هؤلاء الثوار قد ذبحوا الجنرال ديبوى والكولونيل سلكوسكى .

بون : وهل يمكن أن أنسى ذلك يا سيدى القائد ؟

نابليون : قسما لو قتلت بهما عشرة الآف منهم لكان قليلا .

بون : صدقت يا سيدى القائد .

نابليون : قررتم المقبوض عليهم واحدا واحدا ؟.

بون : نعم .. أكثر من مرة .

نابليون : ولم يعترف أحد منهم بشىء !.

بون : اعترف بعضهم بأنهم أعضاء فى لجنة الثورة ولكن أبوا جميعا أن يذكروا اسم زعيمها .

نابليون : عذبتموهم ؟

بون : ألوان العذاب .

نابليون : أغريتموهم بالعفو ؟

بون : وبالمال أيضا .

نابليون : رجالهم ونساءهم ؟

بون : رجالهم ونساءهم .

نابليون : أعدمتم أحدا منهم أمام الآخرين ؟

بون : ستين شخصا .

نابليون : ولا نتيجة ؟

بون : ولا نتيجة .

نابليون : فماذا ترى ؟

بون : إن كنت تريد أن تلصق التهمة بالجوسقى أو بالسادات .

نابليون : كلا .. أريد قبل كل شىء أن أعرف من زعيم الثورة ؟

بون : دعنا نقبض على السادات ونحاكمه . لعله يعترف .

نابليون : كلا لقد حلف لى ما كان له بهذه الحركة أى علم .

بون : وصدقته ؟

نابليون : الشيخ المهدى يؤكد لى صدقه .

بون : واقتنعت بشهادة الشيخ المهدى ؟

نابليون : مازال فى نفسى شك .

بون : دعنا إذن نستخرج السر من السادات نفسه .

نابليون : السادات من الأشراف .

بون : تخشى أن يغضب له العامة ؟

نابليون : نعم .

بون : لتعملن فيهم مجزرة كما عملنا فى العميان .

نابليون : كم قتلتم من العميان ؟

بون : سبعمائة .

برطلمين : (**الواقف قريبا من الباب**) وتسعة وعشرين يا سيدى القائد . (**ينظر إليه نابليون بازدراء**) إن شئت العدد يا سيدى بالضبط .

يعقوب : لا شك عندى يا سيدى القائد . أنه الشيخ سليمان الجوسقى .

نابليون : دليلك ؟

يعقوب : يكفى أنه صديق المعلم جرجس الجوهرى .

نابليون : المعلم جرجس الجوهرى من أصدقائنا المخلصين .

يعقوب : فى الظاهر فقط .

نابليون : يعقوب .. لا تدخلنا فى حزازاتك .

يعقوب : يا سيدى ..

نابليون : كفى !

(يسكت يعقوب وتبدو على برطلمين الشماتة) .

بون : نمضى فى عملنا يا سيدى القائد العام ؟

نابليون : نعم **(يجلس على المنصة ويجلس بون بجانبه ويبحث يعقوب فلا يجد فيبقى واقفا)**

برطلمين : **(ينظر فى شماتة إلى يعقوب)** هاتوا غيره .

(يساق أحد الثوار حتى يقف أمام المنصة) .

بون : اسمك ؟

الرجل : محمود عوضين .

بون : مهنتك ؟

الرجل : حداد .

بون : عضو فى لجنة الثورة ؟

الرجل : نعم .

بون : ماذا كان عملك ؟

الرجل : كنت أصنع لهم السيوف والسكاكين والفؤوس وأصلح لهم البنادق والطبنجات .

بون : من كان يكلفك بذلك !

الرجل : زعيم الثورة .

بون : من هو ؟

الرجل : إذا قتلتنى أخبرتك .

نابليون : **(غاضبا)** خذوه .. أعدموه . **(يخرجون به) .**

بون : كلهم كان هكذا يا سيدى القائد .

نابليون : كلهم ؟

بون : كأنما لقنهم ملقن واحد .

نابليون : كم بقى منهم ؟

بون : كم يابرتلمى ؟

برطلمين : أربعمائة وأثنا عشر رجلا وثلاثون امرأة .

نابليون : ضبطوا جميعا متلبسين ؟

بون : نعم .

نابليون : اقتلوهم جميعا .

بون : دفعة واحدة ؟

برطلمين : أفضل لتكون مجزرة واحدة ..

نابليون : كلا . وألقوا اقتلوا كل ليلة ثلاثين وألقوا بجثثهم فى النيل .

برطلمين : صحيح .. هذا أصوب وأحكم . (**على حدة**) لنستمتع مدة أطول !.

يعقوب : والشاب القبطى الذى حاول اغتيالى ؟

برطلمين : هو فيهم .. سيقتل ضمنهم .

يعقوب : كلا .. ينبغى أن تأمر بإحضاره يا سيدى القائد لأن له معى حالة خاصة .

برطلمين : (**على حدة**) ياليته أراحنا منك .

نابليون : احضروه .

برطلمين : هاتوا الشاب القبطى .. بطرس عوض .

(**يساق بطرس حتى يقف أمام المنصة**). هو هذا غريمك ؟

يعقوب : نعم .

بون : أنت حاولت اغتيال الجنرال يعقوب ؟

بطرس : نعم .

بون : لماذا ؟.

بطرس : لأنه خائن .. خان البلد والشعب .

يعقوب : من الذى أوعز إليك ؟

بطرس : لا أحد .. أردت أن أطهر الأقباط من عار خيانتك .

يعقوب : كذبت . المعلم جرجس الجوهرى هو الذى أوعز إليك .

نابليون : (**ليعقوب**) صه . قد اعترف بجريمته فاقتلوه .

يعقوب : دعنى يا سيدى القائد أتولى أنا ضربه بالرصاص .. أرجوك .

نابليون : لا بأس .. اخرج معه .

يعقوب : شكرا يا سيدى القائد . سأطلق الرصاص على هذا الخائن ثم أنطلق لألحق الجنرال ديزيه فى الصعيد وأقاتل معه المارقين . هل تأمرنى بأن أبلغه شيئا ؟.

نابليون : (**فى غير احتفال**) تحياتى .

(**يخرج يعقوب**) .

بون : انتهينا الآن من العامة فهل نحضر لك المشايخ ؟

نابليون : أجل أنا ما جئت إلا من أجلهم .

برطلمين : ما بقي غير الشيخ سليمان الجوسقى والشيخ يوسف المصيلحى .

نابليون : والباقون ؟

برطلمين : أعدمناهم أمس وهم عراة كما أمرت .

نابليون : استجوبتهم ؟

بون : نعم وكانوا وقحين فى إجاباتهم .

نابليون : احضروا الجوسقى والمصيلحى .

برطلمين : عاريين ؟

نابليون : (**محتدا**) يا أحمق .. يا غبى .

برطلمين : مثل المشايخ الآخرين .

نابليون : استجوبتهم عراة يا جنرال بون ؟

بون : كلا يا سيدى إنما جردوا من ثيابهم ساعة الإعدام .

برطلمين : (**ينظر إليه نابليون نظرة صارمة**) معذرة يا سيدى القائد لقد ظننت أنك ..

بون : (**يصيح مقاطعا**) ناد باسميهما .

برطلمين : سمعا يا سيدى القومندان . (**مناديا**) هاتوا الشيخ سليمان الجوسقى والشيخ يوسف المصيلحى .

(**يساقان مقيدين حتى يقفا أمام المنصة**) .

الجوسقى : ما تريدون منا بعد ؟.

برطلمين : أنت أمام سارى عسكر .

الجوسقى : مرحبا بسارى عسكر الفرنسيس . خطوة عزيزة .

نابليون : أنت زعيم الثورة .

الجوسقى : أنت أيضا تسألنى هذا السؤال .

نابليون : أجب على سؤالى .

الجوسقى : لقد قتلتم سبعمائة من أتباعى المكفوفين .

برطلمين : سبعمائة وتسعة وعشرين .

الجوسقى : أنت أصدق يا فرط الرمان . فاقتلونى وأتموا العدد سبعمائة وثلاثين .

نابليون : هل أنت زعيم الثورة .

الجوسقى : هذا شرف لا أدعيه . أنا شيخ العميان .

نابليون : وزعيم الثورة ؟

الجوسقى : إن كان معقولا عندك وأبيت إلا أن تسنده إلى فأنت مشكور .

نابليون : من إذن ؟ السادات ؟

الجوسقى : أبو الأنوار أحرص على دنياه وعلى عاقبته من ذلك .

نابليون : فمن إذن ؟

الجوسقى : سل الجنرال دبيوبى يخبرك .

(يسكت نابليون كاظما غيظه) .

برطلمين : ويلك ، الجنرال ديبوى قد قتل .

الجوسقى : إذن فلن تجدوا الجواب أبدا فإن الذى كان يستطيع أن يجيبكم قد ذهب .

نابليون : أتريد أن تقول إن زعيم الثورة هو الذى قتله ؟.

الجوسقى : هو الذى غرس الحربة فى ثندؤته اليسرى .

نابليون : كيف علمت ؟

الجوسقى : كانت تـأتينى أنبـاء كـل شـىء قبـل أن تحبسـونى فـى سجن هذه القلعة .

نابليون : أنت إذن تعرف من هو ؟

الجوسقى : نعم ولكنى لن أخبركم باسمه أبدا .

برطلمين : دعنى أجلده يا سيدى مائة جلدة .

الجوسقى : ولو قطعتم عنقى ولو ضربتمونى بالرصاص .

برطلمين : دعنى أجلده أولا قبل ذلك .

بون : اذكر لنا اسمه خيرا لك .

الجوسقى : كان الكولونيل سلكوسكى يستطيع أن يدلكم عليه لو أنه عاش .

نابليون : أتريد أن تقول إنه هو الذى قتل سلكوسكى أيضا ؟ **(يظهر عليه التأثر)** .

الجوسقى : نعم عرف أنك تحبـه وتعـزه فتعمـد أن يقتلـه ليسـحق قلبك .

نابليون : (**غاضبا**) لكنى انتقمت له أشد انتقام .

الجوسقى : ما انتقمت إلا من نفسك لأن وباله كان عليك .

نابليون : قتلنا من عميانك سبعمائة .

برطلمين : وتسعة وعشرين يا سارى عسكر .

نابليون : (**محتدا**) لا تقاطعنى يا غبى .

برطلمين : معذرة يا سارى عسكر .

نابليون : اسكت !

برطلمين : سمعا يا سارى عسكر .

نابليون : اقفل فمك !

الجوسقى : قتلتهم عميانا ليكونوا عند الله أحياء مبصرين . فكنت أنت الخاسر وكانوا هم الفائزين .

نابليون : وأبطلنا الديوان فإنكم لا تستحقونه .

الجوسقى : ما أهونه . كنتم تضحكون به على الأمة فأرحتموها .

نابليون : ودمرنا جامعكم الأزهر وربطنا خيولنا فى أروقته .

الجوسقى : الجامع الأزهر هو الذى نال منك ولم تنل منه شيئا إذ دمغك بالحجة فعرف المصريون جميعا ما قيمة دعاويك الفارغة من احترامك للدين ولنبى المسلمين . ونحن المسلمين لا نقدس الأحجار ولا الأبنية بل نعبد الله فى كل مكان ونبينا يقول جعلت لى الأرض مسجدا .. الأرض كلها .. أسمعت ؟

نابليون : الواقع أننا ما دنسنا الأزهر وإنما أنتم الذين دنستموه باتخاذه مركزا للثورة والعصيان .

الجوسقى : كلا ما تدنس الأزهر بل تزكى وتقدس بالدماء الزكية التى سالت عليه فى سبيل الله وسيبقى على الدوام قلعة الجهاد ومثابة المجاهدين ومركز الثورة والثائرين على الباغين والظالمين .

نابليون : هيهات لقد أقمنا القلاع على التلال المطلة عليه ونصبنا فيها المدافع وسنقيم القلاع والطوابى فى المقس وطولون وفى الظاهر وقنطرة الليمون . وفى قصر العينى والمقياس وفى أبو الريش وتل العقارب

وبولاق وفى كل مكان .

الجوسقى : افعلوا ما أنتم فاعلون . فلن يزيدكم ذلك إلا كراهية عند العامة واحتقارا لدى الخاصة ولن يزيد الهوة التى تفصل بينكم وبيننا إلا اتساعا وعمقا فلن يقر لكم بعد ذلك قرار . أتذكر تلك الرؤيا التى قصصتها يوما عليك ؟ هذا تأويلها اليوم يا بونابرتة . الدودة التى كانت ستأكل لباب النخلة قد التهمها الثعبان . فنجت النخلة . النخلة مصر والثعبان جيشك والدودة حيلتك !

(يصمت نابليون ويغرق فى تفكير عميق) .

المصيلحى : يا سارى عسكر الفرنسيس لقد جعلتنى أغار من الشيخ سليمان الجوسقى .

نابليون : ماذا تريد أن تقول ؟

المصيلحى : استأثر هو باهتمامك وعنايتك وتركتنى وأنا شاب مثلك وهو شيخ كبير . وأنا مبصر مثلك وهو كفيف ضرير .

نابليون : ماذا عندك ؟

المصيلحى : عندى لك كل ما تحب .

نابليون : يا ماكر يا مخادع .

المصيلحى : هذا أيضا من وجوه الاتفاق بينى وبينك .

نابليون : يا وغد .

المصيلحى : من أجل الشيخ المهدى تشتمنى ؟ أنت أكبر من ذلك

وهو أصغر وأحقر .

نابليون : من زعيم الثورة ؟

المصيلحى : وتصدقنى إن أخبرتك ؟

نابليون : إذا قلت الصدق .

المصيلحى : أنا لا أقول إلا صدقا .

نابليون : من ؟.

المصيلحى : ولى الأمان من غضبك ؟

نابليون : نعم .

المصيلحى : أتحلف لى بأقدس شىء عندك .

نابليون : نعم .

المصيلحى : أحلف لى بشرف زوجتك .

برطلمين : أيها الوغد أما عندك ذرة من الذوق ؟

المصيلحى : قبح الله وجهك . أليس شرف زوجته أقدس شىء عنده ؟

برطلمين : بل لك قصد سىء .

المصيلحى : ماذا تعنى يا غبى ؟

برطلمين : أنت تعنى ..

نابليون : اسكت يا غبى ؟

برطلمين : إنه يا سيدى القائد يقصد ..

نابليون : لعنة الله عليك اقفل فمك ! (**يلتفت إلى المصيلحى متجلدا**) احلف لك بذلك .

المصيلحى : من سوء حظنا أنها لم تأت معك . لماذا لم تأت بها

معك ؟

نابليون : ويلك ما شأنك ؟

المصيلحى : لو كانت هنا عندك لما انتقمت من نسائنا البريئات بالإهانة والترويع والتقتيل .

برطلمين : سمعت يا سيدى القائد ؟

نابليون : اسكت أنت (**يلطمه لطمة قوية**) .

برطلمين : (**يمسح اللطمة عن وجهه**) يا سيدى القائد كان هو أحق منى بهذه اللطمة أنا كنت أدافع عن شرفك .

المصيلحى : قبحك الله . القائد ليس بحاجة إلى من يدافع عن شرفه !

برطلمين : (**غاضبا**) يا سيدى القائد أنا ابن ستين كلبا إن لم يكن هذا الشيخ سيىء القصد فيما قال .

نابليون : (**محتدا**) يا ابن ستين كلبا أمسك لسانك .

(**يسكت برطلمين مغتاظا**) .

بون : شيخ مصيلحى إنك لم تجب بعد على السؤال .

المصيلحى : أجل .. معذرة .. شغلنا فرط الرمان هذا بآبائه الستين (**ضحك مكتوم**) حتى أنسانى السؤال .

نابليون : من زعيم الثورة ؟

المصيلحى : أجل . سأجيب الآن على سؤالك بعد ما حلفت لى بأقدس شىء عندك بشرف زوجتك .

نابليون : أجب ؟.

المصيلحي : لو قتلتم الشعب كله ولم تبقوا غير رجل واحد لكان هو زعيم الثورة .

الجوسقي : صدقت يا شيخ يوسف !.

نابليون : هذه الكلمات لا ترهبني . لقد جاءني شيوخكم يقبلون أطراف ثوبي ويطلبون عفوي ومغفرتي ويرجون مني أن أعلن العفو العام ففعلت إكراما لشيوخ الإسلام .

الجوسقي : هؤلاء ليسوا شيوخ الإسلام بل شيوخ الوقت .

نابليون : وأنت أي شيء أنت ؟ ألم تكن تخزن الغلال والسمن والعسل والسكر والزيت في سني الرخص لتبيعها في سني الغلاء بأقصى القيمة ؟ ألم تكن تستولي على تركات من يموت من أتباعك العميان ؟ ألم تكن تقرض الأكابر مقادير كبيرة من المال ليكون لك عليهم الفضل والمنة فتسخرهم في خدمة أغراضك وقضاء مآربك ؟ ألم يكن همك كله جمع المال بكل وسيلة ومن كل سبيل ؟.

الجوسقي : بلى بلى بلى . قد كان مني هذا وأكثر من هذا ولكني لم أطأطيء رأسي لأحد من البشر أطلب عفوه ومغفرته .. بل لجأت إلى ربي الحي القيوم مالك الملك رب العالمين أستغفره وأتوب إليه عسى أن يغفر لي ويكفر عني سيئاتي التي ذكرتها وسيئات أخرى لا تعلمها أنت ، الله وحده يعلمها (**يبكي**) .

(ينظر إليه نابليون مليا فى إعجاب وإكبار) .

نابليون : إنى لمعجب بك حقا يا شيخ سليمان . إنك لنسيج وحدك .

الجوسقى : وإنى لمعجب بك يا بونابرته . ومنذ بلغتنى كلماتك التى قلتها لجنودك فى معركة الأهرام أدركت أننى أمام رجل عظيم .

نابليون : وكان بودى أن أصطفيك لو لم تجابهنى بعداوتك .

الجوسقى : ولوددت أنا أيضا لو استطعت أن أتخذ لى منك صديقا .

نابليون : ماذا كان يمنعك .

الجوسقى : عدوانك على وطنى وأمتى ودينى .

نابليون : أنا جئت لأحرركم من حكم المماليك والأتراك .

الجوسقى : لتجعلنا بعدهم عبيدا للفرنسيس .

نابليون : بل لنتعاون جميعا على ما فيه خيركم وخير بلادكم .

الجوسقى : لو كنت صادقا فى ذلك لقبلت ما اقترحته عليك من إنشاء جيش الشعب .

نابليون : لو لم أكن صادقا ما عرضت عليك منصب السلطنة .

الجوسقى : لتجعل على البلاد سلطانا أعمى ..

نابليون : أنت عندى بألف ألف بصير .

الجوسقى : لكى يليها ولدى الأحمق من بعدى فيكون ألعوبة فى أيديكم ؟.

نابليون : إن شئت جعلناها جمهورية كما فعلنا عندنا فى

فرنسا .

الجوسقى : فستلعبون برئيسها كما تلعبون بسلطانها .

نابليون : ويلك إنك لا تعرف ماذا تريد لبلادك .

الجوسقى : بلى يا بونابرته أعرف ماذا أريد، أريد لبلادى أن تحرر نفسها بنفسها وتختار حاكمها من صميم شعبها .

نابليون : كنت إذن تخادعنى إذ اقترحت على إنشاء جيش الشعب ؟.

الجوسقى : كما كنت تخادعنى إذ عرضت على منصب السلطنة .

نابليون : لم لا نتناسى ما مضى كان لم يكن ونعود فنتعاون منذ اليوم ؟.

الجوسقى : هيهات .. فات الأوان .

نابليون : كلا ما فات الأوان .

الجوسقى : كيف وقد قتلتم أعوانى الذين بهم أصول وأجول ؟.

نابليون : سنجعل لك أعوانا أخرين تختارهم أنت بنفسك .

الجوسقى : وقتلتم زوجتى أم داود .

نابليون : كانت غلطة غير مقصودة فى إبان الزلزلة التى صاحبت الثورة وما أحسب أن أمرها يعنيك كثيرا فيما نحن بصدده .

الجوسقى : يرحمها الله . هى التى كانت تحلم لى طول عمرها بالسلطنة وتزينها لى فماذا أصنع بعدها بهذا

المنصب ؟

نابليون : وكنت تقبل اليوم لو كانت فى قيد الحياة ؟.

الجوسقى : نعم .

نابليون : فاعلم أذن أنها لم تقتل وأنها معززة مكرمة في بيتك .

الجوسقى : ماذا تقول ؟.

(**يومىء نابليون**) بيده فإذا ناصحة تدخل منتقبة ومعها ابنها داود **وزوجته وبعض الوصائف**) .

ناصحة : كيف أنت يا سيدنا الشيخ ؟ الحمد للّه على عافيتك . هذا داود وأمرأته جاءا معى لرؤيتك .

نابليون : الأسرة المالكة !.

الجوسقى : (**على حدة**) الشجرة الملعونة !.

داود : انت بخير يا أبه ؟.

الجوسقى : بخير يا بنى . اسبقونى يا أم داود إلى البيت .أنا آت إليكم على الأثر .

ناصحة : ألم أقل لكم إن زوجى رجل غيور ؟ هيا بنا يا أولاد . لا تتأخر كثيرا يا سيدنا الشيخ . نحن فى انتظارك .

• (**تخرج ومن معها**) .

نابليون : هيه . اطمأننت الآن يا شيخ سليمان ؟.

الجوسقى : وصديقى الشيخ المصيلحى ؟.

نابليون : سنطلق سراحه أيضا ونكرمه من أجلك .

المصيلحى : (**هامسا**) يا شيخ سليمان إياك أن تبيع نفسك .

الجوسقى : معاذ اللّه يا شيخ يوسف . اطمئن .

نابليون : تريد شيئا آخر ؟.

الجوسقى : نعم أريد أن تعاهدنى يا جنرال بونابرته بشرفك (**يمد يمناه**) .

نابليون : بكل سرور (**يمد يده ويصافح الجوسقى**) .

(**يلطمه الجوسقى بيده اليسرى لطمة قوية رنت فى القاعة . مفاجأة أذهلت الجميع**) .

نابليون : (**صائحا بالفرنسية**) وغد !.

الجوسقى : معذرة يا بونابرته . هذه ليست يدى . هذه يد الشعب .

نابليون : خذوه ؟ عذبوه ثم اقتلوه !.

الجوسقى : يا محمد كريم . أنا قادم عليك .

يا أيوب الدفتردار واشواقاه إليك !.

المصيلحى : بوركت يا شيخ سليمان . جواب حاسم .

نابليون : وهذا الوغد أيضا عذبوه ثم اقتلوه .

برطلمين : أنا الذى سأتولى ذلك بنفسى .

المصيلحى : (**فى مرح واستخفاف**) من شواهد النحو عندنا :

لا بأس بالموت إذا الموت نزل .

الموت أحلى عندنا من العسل .

ردوا علينا حقنا ثم بجل (١) .

(يسوقون الجوسقى والمصيلحى بعنف وقسوة) .

الجوسقى : **(يتلفت صوب المنصة وهم يسوقونه)** بونابرته ! تذكر تأويل الرؤيا . نحن أثرنا الثعبان حتى التهم الدودة . وغدا سنطرد الثعبان !.

(ستار الختام)

---

(١) « بجل يعنى : كفاية » .

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

- إخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى

ـ إبراهيم باشا

ـ الشـــيماء

ـ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية

ـ أوزوريس

ـ نظام البردة ـ ذكرى محمد ﷺ

ـ من فوق سبع سموات

ـ التوراة الضائعة

ـ إله إسرائيل

ـ دار ابن لقمان

ـ قطط وفيران

ـ هاروت وماروت

ـ جلفدان هانم

ـ الفلاح الفصيح

ـ حبل الغسيل

ـ هكذا لقي الله عمر (بن عبد العزيز)

ـ مسرح السياسة

ـ الدودة والثعبان

ـ مأساة زينب

ـ أحلام نابليون

ـ قضية أهل الربع

ـ الوطن الأكبر

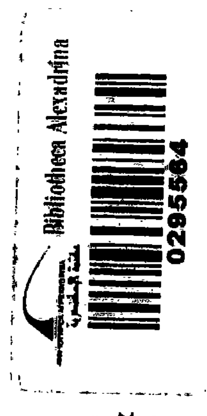
ـ حرب البسوس

ـ الملحمة الكبرى الإسلامية الكبرى (عمر) ، أقوى وأمتع ما كتب باكثير ، وتقع فى ١٨ جزءا كالتالى :

(١) على أسوار دمشق .
(٢) معركة الجسر .
(٣) كسرى وقيصر .
(٤) أبطال اليرموك .
(٥) تراب من أرض فارس .
(٦) رستم .
(٧) أبطال القادسية .
(٨) مقاليد بيت المقدس .
(٩) صلاة فى الإيوان .
(١٠) مكيدة من هرقل .
(١١) عمر وخالد .
(١٢) سر المقوقس .
(١٣) عام الرمادة .
(١٤) حديث الهرمزان .
(١٥) شطا وأرمانوسة .
(١٦) الولاة والرعية ـ فتح الفتوح .
(١٧) القوى الأمين .
(١٨) غروب الشمس .

المجموعة كاملة مجلدة تجليدا فاخرا (٣ مجلدات)

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الثمن ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه